الغيور والصبور

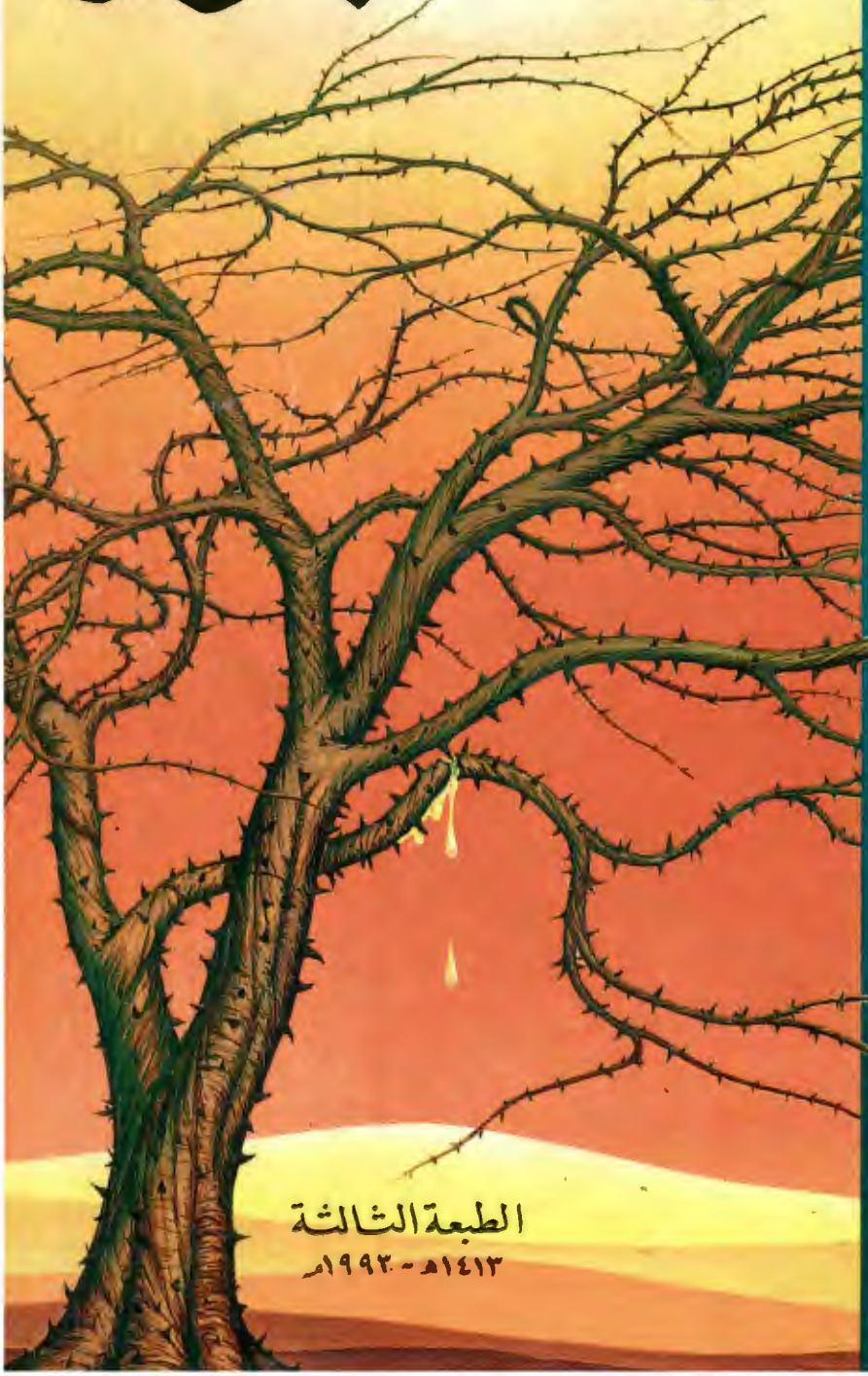

تأليف الدكتور
مرزوق بن صنيتان بن تنباك
قسم اللغة العربية - كلية الآداب
جامعة الملك سعود

الطبعة الثالثة
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

العبور والصبور

تأليف الدكتور

مرزوق بن صنيتان بن تنباك

قسم اللغة العربية - كلية الآداب

جامعة الملك سعود

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الغيور والصبور

تأليف الدكتور
مرزوق بن صنيتان بن تنباك
قسم اللغة العربية كلية الآداب
جامعة الملك سعود

موقع مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

الطبعة الثالثة
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع لكتورة منى تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

مقدمة البحث

عرف عن العرب الغيرة والدفاع عن المحارم، ورعاية الذمم، وظهر ذلك واضحاً في موروثهم الأدبي وما وصل إلينا من شعرهم الذي عكس صورة واقعهم الاجتماعي وما كانت عليه حالهم.

وأمام القارىء في هذا البحث صورتان متناقضتان للموقف من الغيرة رسمهما شاعران من شعراء العربية في عصرها الأول. أحدهما:

عقيل بن عُلَّفَة المري، الذي بلغ شططه في الغيرة على النساء حداً وصل به إلى أن يصبح موضع تندر للناس.

أما الثاني: فهو مسكين الدارمي، الذي أظهر تسامحاً غير مألوف في تفسير الغيرة وذهب برأيه إلى تحكيم العقل فيها وفي دوافعها، رافضاً الشطط والمبالغة معللاً وجه الحكمة في ذلك الموقف الذي يبدو للوهلة الأولى أنه خروج عن العرف الذي آثرته العرب، وتمرد على نظام اجتماعي استقر عليه فكرها، وعدول عن الإجماع إلى ما يخدش الأنفة المتأصلة في وجدانها وقد صحب الباحث كلاً منهما على انفراد فدرس شعره وعرف فلسفته في اختيار المذهب الذي فضل السير عليه. فنشر ما عنَّ له من أخبار الشاعر وما وصل إليه من تفسير ميله إلى مذهبه دون سواه. ولمَّا نُشِرَ البحثان وجد الباحث نفسه أمام صورتين تتحدى كل واحدة منهما الأخرى فرأى أن جمعهما في مجلس واحد أدنى لتجسيد صور الاختلاف، وزعم أن الأمر لا تنقصه طرافة التقابل والتضاد فجمعهما بين هاتين الدفتين، حتى يقابل عقيل بن عُلَّفَة المري مسكين الدارمي بعد ثلاثمائة وألف عام ويكون القارىء الحكم بينهما.

والدراستان كتبتا في البدء للمتخصصين وعول في معالجتهما حينئذ... على مرجعية القارىء المتخصص.

www.mtenback.com

وفي هذه الطبعة لم يطرأ كبير تغيير على شيء مما جاء في الأصل غير أن المفارقة الظاهرة بين الشاعرين والتعارض الحاد في وجهتي النظر أوحى باختيار عنوان للكتاب لا يخلو من طرافة، وقد يثير الاستغراب ويدفع إلى التساؤل الملح عن سبب الجمع مع الإقرار بالاختلاف البين بين مذهب كل منهما.

وذلك ما أراد الباحث عرضه وترك التعليق عليه ولم يتدخل في سياق الرأي ولكنه اكتفى بوصف المساق الاجتماعي وانعكاسه على واقع الشاعر ومدى تفاعله معه بصورة يحتمل قبولها كما يحتمل رفضها حتى يتاح للمطلع على هذا العمل مجال يصنع فيه الكيفية التي يراها للتوازن الصالح بين الرأيين على الرغم من بعد المسافة الفاصلة بين طرفي الإلتقاء واستحالة الاتفاق على رأي يقنع بصحة مذهب كل منهما.

وقد جاء هذا العنوان تكريساً لذلك الاختلاف وتجسيداً لصورة التعارض الظاهر والخفي بين الشاعرين.

ويبقى القبول لرأي الباحث أو رفضه وجهة نظر ثالثة يناقشها القراء ولعلهم يختلفون معه كاختلاف عقيل وربيعة.

www.mtenback.com

عقيل بن عُلَّفَة المري
حياته، وشعـره

موقع الدكتور مفيد نايف قنيبك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

عقيل بن علفة المري
حياته وشعره

نشأ أغلب شعراء عصر بني أمية في ظل الإسلام، وفي أحضانه، وواكبت نشأتهم اتساع الدولة الإسلامية وانطلاق العرب إلى الآفاق، ذلك الانطلاق الذي كان في سرعته وحدوثه مذهلاً، ولم تعد الجزيرة العربية هي الموئل الوحيد للعرب، بل اتسع الأفق أمام تقدمهم وانداحت دائرة طموحاتهم، وأسرع شبابهم إلى الالتحاق بكتائب الفاتحين ومعسكرات الجند، وتبعت الشباب الضعائن بل عدد غير قليل من الأحياء التي هجرت مواطنها الأصلية وديارها في الجزيرة العربية لتلحق بالأمصار الجديدة، وتتخذها دار هجرة ومقر إقامة. لكن انقلاع القبيلة من أرضها، وهجرتها إلى حيث يستقر أكثر أفرادها، لم يكن انقلاعاً تاماً، ولا يعني أنه لم يبق من القبيلة أحد في ديارها بل وجد من ثقل في الأرض والتصق بها من بعض أفراد القبيلة الذين حاولوا البقاء والتشبث بجزيرة العرب حيث موروث الآباء والأجداد وعزَّ على هذا النفر ــ وهم قليل ــ الانتقال والهجرة، كما صعب على بعضهم الآخر الاندماج الكامل في الحياة الأموية الجديدة وقطع الصلة بحياة الماضي.

ولهذا السبب كان في عصر بني أمية شعراء مثَّلوا مواقف الرفض للحياة الجديدة وتمسكوا بمثل أسلافهم، إذ يرون تلك المثل والموروثات ألصق بحياتهم وأقرب إلى نفوسهم مما جدَّ من تنظيمات اجتماعية وأعراف وتقاليد فرضها عليهم التطور الجديد، وكان إنتقال القبيلة من ديارها إلى الأمصار أمراً مزعجاً للذين لا يريدون أن تخلو الجزيرة من العرب وتنتقل الشوكة إلى الأمصار، ويبقى الرجل منهم في الأبيات القليلة من قومه بعد الكثرة التي كان يعتز بها من جوله، يظهر ذلك من الصورة التي رسمها البريق ــ واسمه عياض بن خويلد الخناعي بقوله[1].

وَإِنْ أُمْسِ شيخاً بالرَّجِيْعِ وَوِلْدَةً ... وَتُصْبِحُ قَوْمِي دَوْنَ دَارِهُمُ مِصْرُ
أُسَائِلُ عَنْهُمْ كُلَّمَا جَاءَ رَاكِبٌ ... مُقِيماً بِأَمْلاَحٍ كَمَا رُبِطَ الْيَعْرُ
فَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أُقِيمَ خِلاَفَهُمْ ... بِسِتَّةِ إِبْيَاتٍ كَمَا نَبَتَ الْعِتْرُ
بِمَا قَدْ أَرَاهُمْ بَيْنَ مَرٍّ وَسَايَةٍ ... لِكُلِّ مَسِيْلٍ مِنْهُمُ أُنَسٌ عَبْرُ

---

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص٥٨، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، تاريخ ١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٥م. نشر: لجنة الثقافة والارشاد القومي.

www.mtenback.com

لقد كان الانتقال عن الأهل إلى الأمصار للبحث عن مصادر الرزق أمراً منغصاً لحياة الشباب الذين تضطرهم الحياة إلى ترك أهلهم وبلادهم والهجرة بمفردهم للبحث عن الميدان الواسع الذي يحققون فيه وجودهم، وكان الشباب في ذلك العصر لا يستطيعون تحقيق الذات في مجتمعاتهم الصغيرة المترسبة في أرض العرب، فاندفعوا إلى وسائل تحقق لهم هذه الذات، فوجدوها في المشاركة في الغزو والمرابطة في الثغور والحياة مع الأجناد. وذلك كله يعود عليهم بقيمة اجتماعية ومعنوية بالإضافة إلى ما يحقق لهم من كسب مادي بعد انقضاء مدة الجهاد، ومن الطبيعي أن نرى صوراً من معاناة هؤلاء الشباب عندما يخرجون إلى الأمصار والثغور، ونلمح عوامل التثبيط التي تحيط بهم سواء في الأحياء التي يغادرونها، أو عندما يحاول الأقارب صرفهم عن المسير إلى المشاركة والعمل أو الشعور الذاتي الذي يحسون به وهم يتأهبون للخروج ومفارقة الأحبة. ولعل أقرب مثال على ذلك قصة الصِّمَّةِ القشيري وخروجه إلى الشام عندما عجزت وسائله عن تحقيق ما يطمح إليه وهو في ديار قومه، فألزم نفسه بالاغتراب والبعد عن الأحباب على الرغم مما يحس به من لواعج الشوق وألم التردد أمام العزم الصارم والقرار الخطير الذي واجه به قسوة الحياة الاجتماعية من حوله، فقال بعد أن جدَّ به الأمر[1].

أَتَبْكِي على ريَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ ... مَزَارَكَ من رَيَّا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أن تَأْتِيَ الأَمْرَ طَائِعَاً ... وَتَجْزَعَ أن دَاعِي الصَّبَابةِ أَسْمَعَا
بَكَتْ عَيْنِيَ اليُسْرَى فَلَّما زَجَرْتُهَا ... عَنِ الجَهْلِ بعْدَ الحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الحِمَى بِرَوَاجِعٍ ... إِلَيْكَ وَلَكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الحِمَى ثُمَّ أَنْثَنِي ... على كَبِدِي من خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ البِشْرَ قَدْ حَالَ بَيْنَنَا ... وَجَالَتْ بَنَاتُ الشَّوْقِ في الصَّدْرِ نُزَّعَا
تُلَفَّتُ نَحْوَ الحَيِّ حتَّى وَجَدْتُنِي ... وَجِعْتُ من الإِصْغَاءِ لِيْتاً وَأَخْدَعَا

ولم يكن الشباب هم وحدهم الذين يظهرون الحنين إلى الأوطان بل كان للشيوخ الذين تركهم أبناؤهم لهفة أقوى وشوق أشد لا سيما أولئك الذين تقدم بهم العمر وأحسوا بالضعف وتلهفوا إلى رؤية ابن عزيز، واحتاجوا إلى خدمته، فلهجت ألسنتهم

---

(١) ديوان الصِّمَّة بن عبد الله القشيري، ص٨٦، جمع وتحقيق، عبد العزيز بن محمد الفيصل، نشر النادي الأدبي بالرياض تاريخ ١٤٠١/١٩٨١م.

www.mtenback.com

بذكره وصرحوا بحاجتهم إلى بره، يقول المخبل السعدي يلوم ابنه شيبان الذي انطلق مع العرب الفاتحين تاركا أباه عاجزاً على كبر[1].

إِذَا قَالَ صَحْبِي يَارَبِيْعُ أَلاَ تَرَى؟ أَرَى الشَّخْصَ كَالشَّخْصَيْنِ وَهْوَ قَرِيْبُ
وَيُخْبِرُنِي شَيْبَانُ أن لا يَعُقَنِيْ تَعُقُّ إذا فَارَقْتَنِي وَتَحُوبُ
فَلا تذخلَنّ الدَّهَرَ قَبْرَكَ حُوْبَةٌ يَقُومُ بِهَا يَوْماً عَلَيْكَ حَسِيْبُ

فهو يعاتب ابنه وينكر عليه ما ادعاه من البر والرحمة، ويرى أن البر والرحمة في البقاء إلى جواره وأن العقوق كله في تركه وهو كليل البصر واهن القوى ضعيف عن مواجهة مطالب الحياة. ومثله ما جاء على لسان شيخ آخر هو أُميَّة بن حرثان بن الأسكر عندما عصر فؤاده الألم على بعد ابنه كلاب الذي تركه هو وأمه بعد أن بلغ كل منهما من الكبر عتيا، وارتعشت أيديهما ضعفاً أمام خطوات الزمن وتقدم العمر يقول الأسكر[2]:

لَمَنْ شَيْخَانِ قَدْ نَشَدَا كِلاَبَا كِتَابَ اللَّهِ إنْ حُفِظَ الكِتَابَا
إذا هَتَفَتْ حَمَامَةُ بَطْنِ وَجٍ عَلَى بَيْضَاتِهَا دَعَوَا كِلاَبَا
تَرَكْتَ أَبَاكَ مُرْعِشَةً يَدَاهُ وَأُمَّكَ مَا تُسِيْغُ لَهَا شَرَابَا
فَإِنَّكَ وَابْتِغَاءَ الأَجْرِ بَعْدِي كَبَاغِي المَاءِ يَتَّبِعُ السَّرَابَا

في ظل هذا الواقع الاجتماعي الذي صوره الشعراء سنعرض لشخصية عرفها عصر بني أمية وكانت أحد الرموز البارزة التي مثلت التناقض ــ على الأقل ــ في نظر بعض أفراد ذلك المجتمع، كما أعطى هذا الواقع صورة الحياة التي بقي يترسمها شيوخ القبائل في جزيرة العرب، في حين كان أبناؤهم يتركون الديار إلى بلاد التحضر والاستقرار. وهذه الشخصية هي شخصية عَقِيْل بن عُلَّفَة المُرِّي، وهو شخصية وصفها دارسو الأدب ومؤرخو الأحداث بكثير من الأوصاف مما يجعل الباحث يقف أمامها ملياً، لاستقراء واقعها، وتحديد المؤثرات الاجتماعية والسياسية التي أحاطت به وأثرت بشخصيته وذلك من خلال أقواله وأقوال المؤرخين والدارسين لحياته، مع ربط ذلك إن أمكن بمسار عجلة الحياة في عصره الذي عاش أحداثه وصور بعضها بصور تخالف ما اتفق عليه أغلب مؤرخي الشعر ودارسي الأدب.

---

(١) الأغاني، ج١٣، ص١٩٢.
أبو الفرج الأصفهاني، نشر دار الثقافة بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م.

(٢) خزانة الأدب، ج٦، ص ١٩، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، تاريخ ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م.

www.mtenback.com

فمن هو عَقِيْلُ بن عُلَّفَةِ المُرِّي؟

هو عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيض بن مرة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر.

وكنيته أبو العملَّس وأبو الجرباء. وأم عقيل بن علفة العوراء، وهي عمرة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة[1].

وهو أحد الأعلام لشعراء عصر بني أمية الذين طارت شهرتهم الاجتماعية على الرغم مما سوف نذكر من قلة شعره. وقد ترجم له ابن سلام الجمحي في طبقاته، ووضعه في الطبقة الثامنة مع ثلاثة من شعراء عشيرته بني مُرَّة[2]. كما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى شيئاً من شعره وأخباره وقصصه مع بنيه في كتاب العقفة والبررة[3] وأورد صاحب الأغاني ترجمة كاملة لعقيل ضمنها بعض أشعاره وأخباره وصلاته برجال عصره وقبائل العرب وتضمن تقريره وصفاً لحياة عقيل وشيئاً من سلوكه في مسرد لأخبار عقيل التي يظهر فيها الجفاء والقسوة. وتعد رواية الأغاني أطول رواية حددت ملامح شخصيته ووضعت بعداً لها مما يُمَكِّنُ الدارس من تتبع حياة الشاعر وعلاقته بالمجتمع الذي عاش فيه.

حياة عقيل:

إذا كنا لا نستطيع تحديد زمن ولادته ولا تأريخ وفاته على وجه اليقين، فإننا لا نعذر في استقراء المعلومات المتوافرة عنه لتحديد الفترة التي عاش أحداثها إذ تربط الروايات التي بين أيدينا هذه الأحداث التي قام بها الرجل بشخصيات إدارية ذات تأريخ معروف وزمان محدد كما أن بعضها يصفه وهو في بعض أطوار عمره ويربط ذلك بزمان نعرفه أو نستطيع تحديده مما يجعلنا نقترب من تحديد الزمان الذي عاشه عقيل ابن علفة المري. يعد ابن علفة أحد شعراء العصر الأموي وذلك باجماع المصادر التي

---

(١) كتاب الأغاني، ج١٢، ص ١٥٥.
وجمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص ٢٥٣، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، نشر دار المعارف.

(٢) هم بشامة بن الغدير المري، وشبيب بن البرصاء بن يزيد بن جمرة المري، وقراد بن حنش بن عمرو المري، انظر تحقيق: محمود محمد شاكر.

(٣) العقفة والبررة، نوادر المخطوطات، ج٢، ص٣٥٧، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
لجنة التأليف والترجمة والنشر.

www.mtenback.com

تحدثت عنه. ومن المعروف أن عصر بني أمية ضم من الشعراء أولئك الذين ولدوا في صدر الإسلام كالكميت وكثير عزة، وجميل بثينة، كما أن بعض المخضرمين أدركوا أوائل هذا العصر، بالاضافة إلى أولئك الذين ولدوا في ظل حكم بني أمية الذي امتد قرابة قرن من الزمان، فمن أي الفئات هذه نعد عقيلاً؟!

بالرجوع إلى ما توافر لدينا من معلومات نجد المصادر شحيحة في معلوماتها عنه فهي تضن بالخبر عن حياة الشاعر ومولده ونشأته، ووفاته، في حين أنها قدمت معلومات صريحة في رسم الصورة الشعرية له، والمنزلة الاجتماعية التي كان يتمتع بها ولم تبخل عن إعطاء نبذة عن اتصالاته برجال عصره فقد ذكر أبو الفرج: أنه لقي الخليفة عبد الملك بن مروان، وأن عبد الملك خطب إليه إحدى بناته كما ذكر صلته بعمر بن عبد العزيز وهو وال على المدينة المنورة وروى حديث عمر عن غَيْرَتِهِ وخروجه عن نسائه وقوله له: إنَّك تخرج إلى أقاصي البلاد وتدع بناتك في الصحراء لاكالي‌ء لهن، والناس ينسبونك إلى الغَيْرَةِ[1].. وكانت ولاية عمر على المدينة المنورة من عام **٨٧** إلى **٩٣هـ**[2]. ثم تستمر به الحياة حتى يدرك خلافة يزيد بن عبد الملك ابن مروان من **١٠١ ــ ١٠٥هـ**[3] ويصهر إليه وهو خليفة[4] وقد بقي متردداً بين الشام والمدينة المنورة حيث بنوه وأصهاره من بني أمية، أما إقامته ففي بادية المدينة حتى كبر وهرم واختلط[5] وقد انقطعت أخباره بعد خلافة يزيد وولاية إبراهيم بن هشام إمارة المدينة وكانت ولاية ابن هشام من عام **١٠٧** إلى **١١٥هـ**[6].

وليس أمامنا غير هذه الروايات التي تذكره في طور من أطوار عمره عندما خطب إليه عبد الملك إحدى بناته.

وما نقلت الرواية الآنفة عن الأغاني أيضاً التي تصفه وهو هرم قد كبر واختلط. وأن آخر أخباره قد انقطعت ما بين عام **١٠٧ ــ ١١٥هـ**.

---

(١) الأغاني، ج١٢، ٢٠٦.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٥٧٤،
محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف ١٩٦٦م.

(٣) تاريخ الرسل والملوك «الطبري»، ج٧، ص٢١، والأغاني، ج١٢، ص ٢٦٥.

(٤) الأغاني، ج١٢، ص٢٦٥.

(٥) الأغاني، ج١٢، ص٢٧١.

(٦) كتاب جذف من نسب قريش، ص٧١،
مؤرج بن عمرو السدوسي، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م.

www.mtenback.com

إن هذه الروايات على عمومها تجعل الباحث مع غياب النص يقرب مولده من العقد الثاني من الهجرة وهو لا شك تحديد غير دقيق إلا أننا لا نستطيع غيره ويكون قد عاش ما يقرب من تسعين إلى مائة سنة قضى أولها في صدر الإسلام وأمضى بقية عمره في عهد بني أمية ولا نرى الاعتماد على ما ذكره اليزيدي من أنه شاعر مخضرم، لأن اصطلاح الشاعر المخضرم يعني من أدرك الجاهلية وعاش فيها بعضاً من عمره ثم أدرك الإسلام[1]. ومن المستحيل أن يكون عقيل ممن أدرك الجاهلية ويمر عصر الراشدين وأحداث الردة والفتوحات للعراق والشام ولا يكون له ذكر أو شعر في تلك الأحداث مع ظهور شخصيته وتميز مكانته ومكانة قبيلته في أحداث هاتين الفترتين ولو سلمنا جدلا أن ولادته كانت في الجاهلية وأن ذكره كان خاملاً ولم يشارك في الأحداث التي واكبت ظهور الإسلام مروراً بما تخلل عصر الراشدين من أحداث لما ساغ لنا التصديق بما وصل إليه من مكانة اجتماعية وأدبية، ولا صح له ادعاء الشرف بعد أن قارب الستين أو جاوزها قليلاً في عصر عبد الملك بن مروان وهو خامل حيث وصلت إلينا أخباره، وقد نوجه كلام اليزيدي إلى أنه وهم علمي أو أنه أراد بالخضرمة إدراك الشاعر عصر الراشدين وعصر بني أمية، مع علمنا أن اصطلاح المخضرم كان في عصر اليزيدي يعني الشعراء الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، ولم تكن فترة الراشدين متميزة عن فترة بني أمية حتى ينسحب على من أدركها اسم المخضرم[2].

ملامح شخصية عقيل[3]:

أجمع من ترجم لعقيل أو تعرض لذكر شيء من شعره وقصصه على تميزه بخصلتين بلغ بهما حد الشطط والتطرف اللذين يجعلان تصرفاته ظاهرة اجتماعية يرددها الناس، وتصبح مثالا للشذوذ عن قاعدة المألوف الذي يعيشه المجتمع. هاتان الخصلتان هما الغَيْرَة، والكبرياء.

---

(١) انظر اصطلاح المخضرم عند يحيى الجبوري، في كتابه، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، ص١٧، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ ـ ١٩٦٤م.

(٢) كتاب آمالي اليزيدي، ص ٤٨، محمد بن العباس اليزيدي، نشر مكتبة المتنبي ١٩٦٩م.

(٣) دفعني إلى هذا البحث المتواضع عن حياة عقيل وجمع ماتيسر من شعره، أنني لم أطلع على دراسة حديثة وافية عن حياته وشعره عند أحد من المعاصرين لهذا السبب جعلت بحثي جمعا للروايات التي وردت في مصادر كتب التراث وجمعت ما تيسر من شعره من عدد كثير من المصادر كما حاولت دراسة هذه الشخصية على ضوء ما ذكرت عنها مصادر الأخبار.
وبعد نشر البحث إطلعت على دراسة سبق أن نشرها الدكتور عبد الحسين المبارك تحدث فيها عن عقيل وشعره وقد استفدت منها في هذه الطبعة فله فضل السبق.

www.mtenback.com

أما الغَيْرَةُ فلنا معها وقفة تطول، وأما كبرياؤه فنلمسها في افتخاره بنسبه وشرف محتده حتى إنه لا يرى له كفؤا ولو كان مثل عمر بن الخطاب[1]، وكان يجهر بأنه بلغ من الشرف مالا مزيد عليه كما قال ليحيى بن الحكم: (أما الشرف فقد حملت ركائبي منه ما أطاقت، وكلفتها تجشم مالا تطيق)[2]. وسيمر فيما نستعرض من قصصه نماذج لكبريائه وغطرسته لا نجدها عند أحد من معاصريه.

أما الغيرة فكان الحديث عنها عند من ترجم له من المتقدمين يشبه قصص الخيال وأحاديث السمر، روى الجاحظ: أنه قيل لعقيل بن علفة لو زوجت بناتك فإن النساء لحم على وضم إذا لم يكنَّ غانيات!! فقال: كلا إنني أجيعهن فلا يأشرن وأعريهن فلا يظهرن[3].

وقال له مثل ذلك عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة وزاد فيه «والناس ينسبونك إلى الغيرة»[4]. وقد شاع الحديث عن غيرته عند الناس حتى عُدَّ ذلك صفة بارزة في مكونات شخصيته. ينقل ابن عبد ربه عن أبي حاتم السجستاني عن محمد بن عبيد الله قال: سمعت أبي عن أبي عمرو المري، قال كان بنو عقيل بن علفة بن مرة بن غطفان يتناقلون وينتجعون الغيث، فسمع عقيل بنتاً له ضحكت فشهقت في آخر ضحكها، فاخترط السيف وحمل عليها وهو يقول:

فَـرِقْتُ إنِّـي رَجُـلٌ فـرُوقُ بِضَحْكَـةٍ آخِرُهَـا شَهِيـقُ[5]

وتمضي الرواية حتى تنسب إليه شعراً يفضل فيه الموت لابنته على الحياة كما يفعل الجاهليون من وأد البنات عندما يخشون منهن العار فيقول[6]:

إنِّـي وإن سِيْـقَ إلَـيَّ المَهْـرُ أَلْـفٌ وعِبْـدَانٌ وذُوْدٌ عَشْرُ
أَحَبُ أَصْهَارِي إلَيَّ القَبْرُ

---

(١) الأغاني، ج١٢، ص٢٦٢.
(٢) الأغاني، ج١٢، ص٢٦٤.
(٣) كتاب الحيوان، ج١، ص١٧١،
عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ ــ ١٩٩٦م.
(٤) الأغاني، ج١٢، ص ٢٦٠.
(٥) كتاب العقد الفريد، ج٢، ص ١٩١،
ابن عبدربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين وآخرين، الطبعة الثالثة ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٥م.
(٦) العقد الفريد، ج٢، ص١٩١، وسنعرف بعد قليل أصهاره الذين يفضل القبر عليهم.

www.mtenback.com

وقد مر أن عمر بن عبد العزيز وهو الي المدينة قد أخبر عن غيرته وما اشتهر منها فأراد أن يحدَّ من غلوائه في ادعاء الغيرة فأشعره أن سلوكه يناقض ما يدعيه قائلاً:

«إنك تخرج إلى أقاصي البلاد وتدع بناتك في الصحراء لا كالَيء لَهُنَّ، والناس ينسبونك إلى الغَيْرةِ»[1]. فعلل لعمر خروجه وأنه يستعين عليهن بخصلتين تكلآنهن ويستغني عن سواهما والخصلتان هما الجوع والعُرْيُ كما مر. ويبدو أن كلام عمر قد دفعه إلى مزيد من الغيرة ونقله إلى حال أخرى من المحافظة، فأصبح لا يترك بناته لا كالي‌ء لهن كما قال عمر بل يصطحبهن معه إلى أين يذهب حتى لايجد أحد عليه مطعناً في غيرته. وهذا ابن عبدربه ينقل عن الأصمعي. أن عقيلاً كان يخرج بابنته الجرباء معه إذا أراد سفراً يقول[2]: كان عقيل بن علفة المري رجلاً غيوراً وكان يصهر إليه الخلفاء وإذا خرج يمتار خرج بابنته الجرباء معه:

وقد جرَّ عليه اصطحاب ابنته الجرباء شؤماً وعلى بنيه أيضاً، جعل الرواة يصفونهم بالعقوق وقطيعة الرحم حتى صدَّر بهم أبو عبيدة معمر بن المثنى كتابه العققة، لما وروى أن عقيلاً اصطحب أولاده العَمَلَّسَ وعلقمة وَجثَّامَةَ يقصدون الشام ومعهم الجرباء وقد تغنى وهم في الطريق بقوله[3]:

قَضَتْ وَطَراً من دَيْرِ سَعْدٍ وَطَالَمَا ... على عُرُضٍ نَاطَحْنَهُ بِالجَمَاجِمِ

ثم طلب من ابنه العملس أن يجيز البيت، فقال:

كَأَنَّ الكَرَى سَقَّاهُمُ صَرْغَدِيَّةً ... عُقَاراً تَمَشَّى في المَطَا والقَوَائِمِ

ويضيف صاحب العقد: أن عقيلاً لما سمع منها ما سمع حمل عليها بسيفه وقال ما يدريك أنتِ عن نعتِ الخمر، فاحتمت بأخيها العملس فحال بينه وبينها، فانصرف إليه وأراد أن يضربه فرماه العملس بسهم نفذ فخذيه فبرك وهو يقول[4]:

إنَّ بَنَّي زَمَّلُونِي بالدَّمِ ... شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا من أَخْزَمِ

مَنْ يَلْقَ أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكْلَمِ

---

(١) الأغاني، ج١٢، ص٢٦٠.

(٢) العقد الفريد، ج٢، ص١٩١.

(٣) العققة والبررة، نوادر المخطوطات، ج٢، ص٣٥٧.
تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ ــ ١٩٥٤م.

(٤) قال ابن الكلبي: إن الشعر لأبي أخزم الطائي، وهو جد أبي حاتم أو جد جده، وكان له ابن يقال له أخزم وقيل: كان عاقا فمات وترك بنين فوثبوا يوما على جدهم أبي خازم فأدموه فقال:
إن بني ضرجوني بالدم ... شنشنة أعرفها من أخزم =

www.mtenback.com

وهنا تضطرب الروايات حول هذه الحادثة، فالأغاني تجعل العقير جثّامة بن عقيل وتتفق مع رواية ابن عبدربه في أسباب ذلك وهو إنشاد الجرباء للشعر الذي تذكر فيه صفة الخمر وتجيز ما طلب منها أبوها إجازته[1]. أما أبو عبيدة فيجعل سبب قتاله لأبنائه متعلقاً بشيء آخر غير إنشاد الجرباء فيروي أن علفة بن عقيل هَوَيَ إمرأة من قومه من بني مرة وَهَوِيَتْهُ فأراد أن يتزوجها فخطبها أبوه عقيل فَزَوَّجَتْهُ فأقامت عنده حيناً. ثم إن قومها ادعوا عليه أنه طلقها فهرب بها إلى الشام وقال في ذلك[2]:

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ سُلاَفَةُ بُدِّلَتْ ... مِنَ الرَّمْلَةِ القَفْراءِ قُفْلاً تُزَاوِلُه
ونَوْحاً يُغَنِّيهَا دُوَيْنَ حَمَامِةٍ ... إذَا هِيَ ضَجَّتْ بُزْلُهُ وجَوَازِلُه

قال أبو عبيدة: فخرج عقيل بامرأته إلى الشام ومعه ولده علقمة وعَمَلَّسُ، وجَثَّامةُ وابنته الجرباء، فلما كانوا بدومة الجندل تغنى علفة بن عقيل فقال[3]:

قِفِي يَابْنَةَ المُرِّيِّ نَسْأَلْكِ مَا الَّذِي ... تَقُوْلِيْنَ فِيْمَا كُنْتِ مَنَّيْتِنَا قَبْلُ
وَنُخْبِرْكِ إنْ لَمْ تُنْجِزِي الوَأْيَ أَنَّنَا ... ذَوَا خُلَّةٍ لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُمَا وَصْلُ
فَإنْ شِئْتِ كَانَ الصَّرْمُ مَاهَبَّتِ الصَّبَا ... وإنْ شِئْتِ لَمْ يَفْنَ التَّكَرُّمُ وَالْبَذْلُ
وَنَسْأَلُكِ مَا يُغْنِي عَنْ الجَاهِلِ المُنَى ... وَلاَ يَسْتَقِيْدَنَّ الجَنِيْبُ وَلاَ الْحَبْلُ

فعدا عليهما أبوه بالسيف وقال: يا عدوَّ الله من هذه المُرِّيَّةُ؟! واتهمه بامرأته وقال: أتشبب بأمِّك؟! فكلمه أخوه فيه فحمل عليهما، فرماه عملس بسهم في فخذه فصرعه فثَّم حيث يقول عقيل[4]:

إنَّ بَنِيَّ زَمَّلُوْنِي بالدَّمِ ... مَنْ يَلْقَ أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكْلَمِ
شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ ... وَمَنْ يَكُنْ ذَا أَوَدٍ يُقَوَّمِ

ويضيف صاحب الأغاني سبباً آخر للقتال بين عقيل وبنيه فيقول[5]:

= ويروى زملوني وهو مثل ضرجوني في المعنى: أي لطخوني، يعني أن هؤلاء أشبهوا أباهم في العقوق، والشنشنة الطبيعة والعادة. انظر مجمع الأمثال للميداني، ج١، ص٢٦١. ونص المرتضى في أماليه أن عقيلا قاله متمثلا به انظر آمالي المرتضى ج١، ص٣٧٤، وذكر اليزيدي مثل هذا المعنى. آمالي ليزيدي ص ٤٩.

(١) الأغاني، ج١٢، ص ٢٥٨، وانظر تفصيل الرواية في العقد الفريد، ج٢، ص٣٥٧.

(٢) العققة والبررة نوادر المخطوطات، ج٢، ص ٣٥٩.

(٣) طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٧١٢ محمد بن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر، ١٣٩٤هـ ١٩٨٤م.

(٤) الأغاني، ج١٢، ص ٢٦٠.

(٥) الأغاني، ج١٢، ص ٢٥٩.

www.mtenback.com

إن عقيل بن علفة غدا على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع فإذا بنوه مع بناته وأمهم مجتمعون، فشد على عملس فحاد عنه وتغنى علفة وقال: وذكر الأبيات[1] ولم يذكر عن القصة التي أوردها أبو عبيدة شيئاً. وفي رواية الأغاني هذه اضطراب وتناقض مع الرواية الأولى، فقد أهملت هذه الرواية سبب هجومه على بنيه وبناته وأمهم وهو راجع من خيله إلا أن رواية العقد الفريد التي سبقت الاشارة إليها توضح السبب للهجوم عليهم فتقول[2]: إنه سمع إحدى بناته قد ضحكت فشهقت في آخر ضحكها فحمل عليها وهو ينشد الأبيات الماضية ثم حدث القتال بينه وبينهم والذي يبدو أنه استنكر ما سمع من ضحك دون علمه بالسبب الذي دفعهم إليه، إضافة إلى شهيق ابنته الذي يراه غير لائق، ولعل سبب ضحك أولاده وأمهم يعود إلى حديث دار بينهم إبَّان قدومه إليهم فلم يسمع إلا القهقهة والشهيق فظن أن مبعث الضحك من حديث أداروه حوله، لذا سلَّ السيف وعدا عليهم. وهذا في رأيي سبب معقول لغضبه من أولاده ومحاولة تأديبهم في حين تبقى رواية غضبه من إنشاد الجرباء أقرب إلى طبيعة الحدث الذي نقله الرواة وقد اشتبهت القصتان فَخُلِطَ بينهما، أما غضبه من الجرباء لانشاد الشعر فأمر يتفق مع طبيعة أخلاقه وتصرفاته، وأما استنكاره لضحكهم فمرده الريبة منهم جميعاً، ولكنه جعل شهيق ابنته سبباً لتأديبهم، وعلة للانتقام منهم: أما الرواية الثالثة التي انفرد بها أبو عبيدة في كتابه العقفة والبررة وتابعه ابن سلام في طبقاته وهي التي تردُّ سبب قتاله لبنيه بأنه الشعر الذي قاله علفة وهم سائرون إلى الشام ومعهم زوجته المرية، فإنه ينبغي ألا ينظر إليها على وجه النقيض للقصتين السابقتين، فالمواقف كلها في الحالات الثلاث يرفد بعضها بعضا وتنبيء عن غضب عقيل وسرعة إثارة إنفعاله مهما كان السبب في تحليلنا لشخصيته اليوم. وإذا عدنا للترجيح بين هذه الروايات التي ترددها المصادر حول موقف أبناء عقيل منه وموقفه منهم أيضاً نجد أن كلا منها يحمل سبباً معقولاً لذلك، ولعل الترتيب المنطقي لهذه الروايات يفرض علينا أن نقدم رواية أبي عبيدة لسبقه التاريخي من جهة، ولعدم إضافة أسباب أو تفسيرات أخرى معقولة ممن تبعه.

ومع ذلك يظل التفسير الذي نرجحه بعد استقرائنا لمجمل هذه الروايات، وما ينبيء عنه شعر الرجل، وهو أنه مهما اختلفت الروايات فإنها تتفق في رسم شخصية عقيل

---

(١) الأغاني، ج١٢، ٢٥٩.

(٢) العقد الفريد، ج٢، ص ١٩١.

www.mtenback.com

تلك الشخصية التي لا تجد لدغدغة العواطف جواباً إلا السيف، حتى ولو صدرت من أقرب الناس إليه، وإلا فما معنى غَيْرَتِه من شعر يردده ابنه، وبم تفسر غضبه من شعر ابنته وهو الذي طلب إليها أن تجيز الشعر، ثم كيف نعلل ثورته بأولاده وهم يضحكون وليس بينهم أجنبي عنهم. إنه الجفاء في السلوك وانعكاس ذلك على مجمل تصرفاته حتى بدأ يشك في كل شيء حوله مما جعله يفقد الثقة بالناس جميعاً، ولعل مما يعضد هذا التفسير أننا بتتبع أخباره نجده ينهج السلوك نفسه حتى مع الآخرين ويثور عليهم حتى ولو كان هو السبب في إضحاكهم، فقد دخل مسجد المدينة المنورة وعليه خُفَّانِ غليظان فجعل يضرب برجليه وفي المسجد أمير المدينة وأعيانها فضحكوا منه، فغضب عليهم وثار في وجوههم وسألهم عن سبب ضحكهم فردَّ عليه الأمير بأنهم يضحكون من خفيه وضربه برجليه وشدة جفائه، فرد على الأمير قائلا لا بل إنهم يضحكون من إمارتك عليهم فهي أعجب من خفي[1].

غيرته:

يبدو أن الذين وصفوا عقيلا بشدة الغير وبالغوا في ذلك قصدوا مجمل الحديث عنها ولم يقصدوا معناها الضيق المحدود بعلاقة الرجل بالمرأة. فالغيرة هي الحمية والأنفة[2] على الحرمات ومن ذلك المرأة وما يتعلق بها وعقيل له موقف نحو المرأة وكل ما يمكن أن يستميلها وكان شديد الحساسية حتى إنه ليمنع أن تسمع المرأة أي حديث يثير فيها غريزة الميل إلى الرجل ولو كان ذلك الحديث خاطرة عابرة ويكفي أن نعرف منه هذا الموقف من خلال حادثة ليست ذات شأن عندما أنشد ابنه جثَّامة قائلاً[3]:

أَيُعْذَرُ لاَهِيْنَا وَيُلْحَيْنَ فِي الصِّبَا ... وَمَا هُنَّ وَالْفِتْيَانُ إلا شَقَائِقُ

فاعترض عقيل على أن ينشد ابنه شعرا مثل هذا عند بناته وغضب عليه وأخرجه لئلا يدع فسحة من التساهل تُمَدُّ أمام المرأة على الرغم من أن مثل هذا الانشاد لا يخرج عن حقيقة الحياة ووصف الواقع. وكان يقول: «لإن ينظر إلى ابنتي مائة رجل خير من

---

(١) انظر القصة في الأغاني، ج١٢، ص٢٦٣.

(٢) انظر مادة غ ى ر في المعاجم التالية: لسان العرب والصحاح.

(٣) طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٧١٠.

www.mtenback.com

أن تنظر هي إلى رجل واحد»[1] وقد كان جار لبني عمه يطوف على أحياء بني مرة يتحدث إلى نسائهم فامتلأ عليه غيضا ووثب عليه هو وغلمانه وضربوه ضرباً مبرحا وعقر راحلته وطرده حتى لا يعود إلى ذلك. ومن أجل هذا الحادث لَجَّ الهجاء بينه وبين ابن خالته شبيب بن البرصاء[2].

أما موقفه من الغَيْرَةِ بمعناها العام المتمثل في الحمية والأنفة ونحوهما، فهو ما أفاض في الحديث عنه المؤرخون لحياة الشاعر وهو يشكل الجانب البارز من خصاله الذي جعل الناس ينعتونه به، حتى إن مبالغته في الأنفة جعلته لا يرى له كفءً إلا الخلفاء وأبناء الخلفاء ومن هم في منزلتهم الاجتماعية. وظهر بذلك خبره وانتشر صيته معتمداً على حسبه ونسبه وساعده على إظهار ذلك هوجه وجفاء طبعه، ويقول ابن سلام فيما يروي عن أبي عبيدة: «إن يزيد بن عبد الملك خطب إلى عقيل بن علفة ابنته وقال: زوجني فلست بواجد في قومي مثلي، قال عقيل: بلى والله لأجدن في قومك مثلك، وما أنت بواجد في قومي مثلي»[3]. ومثل ذلك روى أبو الفرج فقال: كان أعرج جافيا شديد الهوج والعجرفة والبذخ بنسبه في بني مرة لا يرى أن له كفءً، وهو في بيت شرف في قومه من كلا طرفيه»[4]. وقد استشعر هذه المكانة الاجتماعية والشرف وأخذ يأنف من مصاهرة الرجال ويغار على نسائه أن ينحكن غير الأكفاء.

دخل على والي المدينة عثمان بن حيَّان المُرِّيِّ فقال له زوجني ابنتك فقال أبكرة من إبلي تعني[5] وفعل مثل ذلك مع مُرِّيٍّ آخر من أبناء عمه أتاه خاطبا فعقر راحلته بسيفه وشد عليه فهرب الخاطب لا يلوي على شيء[6] وبنوا مرة قومه وأكفاؤه بالنسب والحسب، ولكن صورة التفوق في نفسه جعلته يرتكب مثل تلك الحماقات ويزعم الشرف والتميز من أبناء عمه وأكفائه من قبيلته. وشبيه بحديثه مع والي المدينة حديث آخر تكررت روايته في كتب الأدب ذلك أن عبد الملك بن مروان خطب إليه فتردد ثم

---

(١) بهجة المجالس، ج٣، ص١٩، يوسف بن عبد الله القرطبي، تحقيق: محمد مرسي الخولي، نشر دار الكتب بيروت، ١٩٨١م.

(٢) الأغاني، ج٢، ص٢٨٣.

(٣) طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٧١٠.

(٤) الأغاني، ج١٢، ص ٢٢٥.

(٥) الأغاني، ج١٢، ص ٢٥٦.

(٦) الأغاني، ج١٢، ص ٢٦٦.

www.mtenback.com

قال إن كنت فاعلا فجنبني هجناء ولدك[1] وتزيد الروايات عنه في ذلك أن إبراهيم بن هشام المخزومي وهو خال هشام بن عبد الملك خطب إليه فرده لاحمرار لونه وأنشد معللاً رده[2]:

رَدَدْتُ صَحِيْفَةَ القُرَشِيْ لَمَّا أَبَتْ أَعْرَاقُهُ إلاَّ احْمِرَارَا

وقد كان إبراهيم أحمر شديد الحمرة. لكن هذا التغطرس من جانبه في طلب الكفاءة لبناته ترتب عليه جانب هازل من الناس يحاول إثارة غضبه والنيل من كبريائه إذ اندفع بعض العامة ومن لا يؤبه لشأنه يتقدم خاطباً إليه لا طمعاً في الزواج من بناته بل للتندر به ومحاولة استفزازه ومراغمته وازعاجه وإثارة هوجه وتحريك شيطانه يقول أبو عبيدة كان لعقيل جار من بني سلامان، فخطب إليه فعاقبه على تجرؤه عليه وقال: يخطب إليَّ عبد الملك فأرده وتجتريء علي؟![3] ولم يقف عند حد الزجر، بل عاقبه بأن جعل بعض جسمه طعاما للنمل، ثم أجدبت أرض قومه بعد ذلك[4] فانتجع أرض جذام فأرادوا النكاية به والثأر للسلاماني فتقدم إليه واحد منهم هُنَيٌّ مثل البعرة (كما وصفه عقيل)[5] وخطب إليه أم جعفر ولم يكن في استطاعته أن يبطش به هذه المرة كما فعل بجاره السلاماني من قبل، ولكنه خرج إلى أكمة قريبة من الحي وجعل ينبح كما ينبح الكلب ثم تحمل وخرج من ديار جذام فلحقوا به وأمسكوه وخيَّروه بين أن يحبسوه أو يحدروه مع بعرة من رأس الجبل يستبق معها إلى الأرض فإن سبقها خلوا سبيله، فقبل عقيل أن يسابق البعرة ونجا منهم لسبقه إيَّاها ثم هجاهم بقوله[6].

لَقَدَ هَزِئتْ وحُنٌّ بِنَا وَتَلَعَّبَتْ وَمَا لَعِبَتْ حُنٌّ بِذِي حَسَبٍ قَبْلِي

رُوَيْداً بَنِي حُنٍ تُسِيْحُوا وَتَأْمَنُوا وَتَنْتَشِرُ الأَنْعَامُ فِي بَلَدٍ سَهْلِ

ومن الواضح أن القوم لا يريدون الزواج من أم جعفر إنَّما يريدون إذلال كبريائه وإهانته بقرنه مع البعرة، تهكما به لما يظهر من الأنفة والغيرة التي تجاوز بها المعقول والمقبول اجتماعياً.

---

(١) العقد الفريد، ج٢، ص٤١٥.

(٢) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة. ج١، ص١٢٦، محمد بن أبي بكر التلمساني البري، تحقيق محمد التونجي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

(٣) طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص ٧١٦، والأغاني، ج١٢، ص٢٥٦.

(٤) الأغاني، ج١٢، ص٢٥٧.

(٥) الأغاني، ج١٢، ص ٢٥٧، وطبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٧١٧.

(٦) الأغاني، ج١٢، ص٢٦١، وطبقات فحول الشعراء.

www.mtenback.com

ولاشك أن رجلا هذه سيرته مع ما وهب من ملكة الشعر وموروث الشرف سيصلح للأحاديث وتزيد الرواة فيما ينسب إليه من قصص. ولذا كانت علاقته بالناس غير مرضية، وقد انطبع واقع هذه العلاقة على شعره الذي كان يتسم بالهجاء والسخط العام على الناس وعلى الزمن والحياة.

ولعل ما سبق يبيح لنا التعريج مجدداً لمزيد من الحديث عن علاقته بأولاده فهي لم تكن أحسن حالا من علاقته بالآخرين وقد مرت بالكثير من الأزمات والخصومات المتكررة انتهت بتفرقهم عنه وذهابهم إلى الشام حيث تركوه وحيدا فارتحل فحنت ناقته وبكت بناته فقال في ذلك[1]:

أَلَمْ تَرَيا أَطْلاَلَ حَنَّتْ وَشَاقَهَا ... تَفَرُّقُنَا يَومَ الحَبِيْبِ عَلَى ظَهْرِ
وَأَسْبَلَ مِنْ جَرْبَاءَ دَمْعٌ كَأَنَّهُ ... جُمَانٌ أَضَاعَ السِّلْكَ أَجْرَتْهُ فِي سَطْرِ

ثم تحسر على غذائه ابنه عملس وذكّرهُ بأبوته وكيف تنكر لها وَعقَّهُ فقال في حقه:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَومَ أَغْذُوا عَمَلَّساً ... لَكَالْمُتَرَبِّي حَتْفَهُ وَهْوَ لاَيَدْرِي
وَإِنِّي لأَسْقِيْهِ غَبُوْقِي وَإِنَّنِي ... لَغَرْثَانُ مَنْهُوكُ الذِّرَاعِيْنِ وَالنَّحْرِ

فرد عليه عملس بقوله[2]:

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّي عَقِيْلاً رِسَالَةً ... فَإِنَّكَ مِنْ حَرْبٍ عَلَيَّ كَرِيْمُ
أَمَا تَذْكُرُ الأَيَّامَ إِذْ أَنْتَ وَاحِدٌ ... وَإِذْ كُلُّ ذِي قُرْبَى إِلَيْكَ ذَمِيْمُ
وَإِذْ لاَ يَقِيْكَ النَّاسُ شَيْئاً تَخَافُهُ ... بِأَنْفُسِهِمْ إِلاَّ الَّذِيْنَ تَضِيْمُ
تَنَاوَلُ شَأْوَ الأَبْعَدِيْنَ وَلَمْ يَقُمْ ... لِشَاوِكَ بَيْنَ الأَقْرَبِيْنَ أَدِيْمُ
فَأَمَّا إِذَا عَضَّتْ بِكَ الْحَرْبُ عَضَّةً ... فَإِنَّكَ مَعْطُوْفٌ عَلَيْكَ رَحِيْمُ

ولم يغير بُعْدُ بنيه عنه شيئاً من طبعه، فظل الحنق يلعب به وتابع غضبه بنيه حيثما حلوا، فقد رُوِيَ أن ابنه جَثَّامَةَ خرج مراغما له فلحق بالشام وأتى يزيد بن عبد الملك فكتب عقيل إليه: إنه أتاك أعق خلق الله، وكان يزيد قد أعطاه وحباه فأخذ ذلك منه وحبسه[3]. وعن سوء هذه العلاقة أخبر محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال[4]: كان عقيل بن علفة قد أطرد بنيه، فتفرقوا في البلاد وبقي وحده وقد

(١) الأغاني، ج١٢، ص٢٦١.
(٢) الأغاني، ج١٢، ص٢٦١.
(٣) طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص ٧١٠.
(٤) الأغاني، ج١٢، ص٢٧٠.

www.mtenback.com

استمر الخلاف بينهم وانتهى بفرارهم منه وتفرقهم عنه حتى في أخريات عمره وانقطعوا عن زيارته وصلته حتى طمع فيه بعض قبيلته عندما بلغ سن الشيخوخة واعتدى على بيوتَه وحطمها تحت أرجل ماشيته ثم ضربه واحتقره فجعل عقيل يصيح وينادي بأسماء أبنائه الغائبين عنه مستغيثاً بهم فبلغ ذلك النداء ابنه العملس وهو في الشام فأقبل ينجده ونزل إليه وعمد إلى المعتدي عليه وأخذه وجاء به يقوده إلى أبيه بعد أن أوثقه وألقاه بين يديه ثم ضربه ضرباً مبرحا وعقر عدة من إبله، ثم عاد من وقته إلى الشام لم يطعم لأبيه طعاماً ولم يشرب شراباً.

وعلى ما أصابه من كبر وضعف جعل الناس لا يهابونه فقد استمر الخلاف بينه وبين بنيه فلم يرضوا بالعودة إليه لكنهم لم يرضوا أن يضام ولو بعدوا عنه.

علاقته بالناس:

مر الحديث عن علاقة عقيل مع أولاده وقد تبين مما تقدم أنه يجمع إلى عجرفية طبعه سوء المعاملة، وعدم القدرة على بناء علاقة طيبة مع أقرب الناس إليه وأجدرهم بالصبر عليه وهم بنوه بله علاقته مع الناس الذين لا تربطهم به رابطة النسب ولا القربى، لذا كانت صورة هذا الشاعر في مصادر الأدب العربي تمثل الجفاء والغطرسة وتجسم خشونة البداوة التي عاشها أجداده وتجعل المتتبع لسيرته لا يجد مناصا من أن يبحث في طيات النفس البشرية عَلَّهُ يجد سببا جعله يظهر بمظهر الرافض للحياة التي يعيشها مجتمعه ويتسم فيها عصره، مع شيء من الشعور بالتناقض العجيب لما توجبه مكانته الاجتماعية وما هو عليه من سلوك شخصي. فهو من جانب أعرابي يعيش في البادية عيشة العرب قبل الإسلام وقبل قيام الدولة العربية، وهو من جانب آخر وثيق الصلة بالولاة والخلفاء والأمراء ظئر لهم يسموا بنفسه ومكانته الاجتماعية إلى مكانتهم وقد يرى نفسه أرفع منهم مكانة. وإذا أراد الباحث مسوغا معقولا لهوج الرجل وجفاء أعرابيته التي لا يتخلى عنها حتى في حضرة الخلفاء والأمراء والولاة إحتاج إلى نظرة فاحصة إلى طبيعة العصر وتكوين الدولة والنظرة للموروث الماضي الذي كان راسخاً في أذهان العلية من القوم ويحتل في نفوسهم الاحترام والتقدير ويَعُدُّوَنَ الابقاء عليه ميزة من ميزات حياتهم الاجتماعية التي يعيشونها.

طبيعة العصر:

عصر بني أمية عصر تكون فيه بناء الدولة، وفيه امتزجت روح الحياة الجديدة بالموروث الاجتماعي العربي ثم سرى هذا المزيج في هيكله الحضاري ورقيه المادي

www.mtenback.com

إلا أن ذلك لم يقض على الشعور بالانتماء القوي إلى بيئة البادية وحياة الصحراء على الرغم مما طرأ من المستجدات على حياتهم الاجتماعية، وقد حببت الحياة الجديدة إليهم التمسك بخيط الماضي الذي بدأ يتلاشى أمام تكوّن صور الحياة الحضارية في المجتمع الجديد.

أما تكوين الدولة في عصر الشاعر فهو صورة لتفاعل عناصر المجتمع الإسلامي الذي بدأ يفرض شيئاً من القوة والتأثير على تفكير الناس ووعي الجماعات والأفراد فجرى خلط عادات المجتمع الجديد وتقاليده وغربلتها ومحاولة صهرها في بوتقة الأمة الواحدة مع نشوء أجيال جديدة في بيئة الحياة الطارئة ضمن أطر التكوين الإسلامي، وقد تطلعت هذه الأجيال إلى نموذج للحياة المنقرضة واستعدت لتقبل سلوكه الذي يمثل عصراً أصبح في حكم المنتهي. وعقيل بن علفة مثال صالح لرجل العصر الماضي الذي بقيت صورته وهيكل عاداته وتقاليده منقولة في الرواية والقصة والقصيدة. وكان الخلفاء والأمراء يتقبلونه ويسرهم ما يرون من صور تحكي ماضيهم الذي فقدوه في حياتهم الجديدة. بل إنهم يبحثون عن تلك النماذج ذات السلوك البدائي الذي لم يبق له مكان في حياتهم، كما أن بعض قطاعات المجتمع تستمتع بما ترى في سلوك النموذج الباقي خاصة وقد عجزت وسائلها عن القيام بالدور العملي الذي يقوم به ذلك النموذج.

ولعل للموروث الاجتماعي دور في زهو الرجل بنفسه إلى الحد الذي جعله حديث المؤرخين في عصره وما لحقه من عصور، ولم يكن زهوه صادرا عن فراغ، فالنسب والحسب اللذين يتكيء عليهما عقيل لم يكونا بعيدين عن أذهان معاصريه ولم يكن عقيل فقعة قاع مبتوتة في صحراء الجزيرة لكنه يضرب بعروق المجد إلى أعماق التاريخ ويَمَتُّ بصلة السيادة إلى ركن أشم ما زالت صروته ماثلة في أذهان قريش وقبائل العرب وسادات الأمة والناس كافة الذين تعامل معهم عقيل، ذلك الركن هو الحارث ابن أبي حارثة المري خال عقيل الذي علا صيته قبيل ظهور الإسلام وانتشر ذكره على أرض الجزيرة العربية بين يدي فجر النبوة عندما قام بعمل أكبرته العرب في جزيرتها، وجعلته أعلى وسام على صدر ذلك الرجل الكبير بفضل مغامرته الخالدة في التاريخ العربي التي أنهت حربا ضروسا دامت أربعين عاما بين حيين من أحياء العرب هما عبس وذبيان، فهو الذي تحمل أعباء إنهاء الحرب والتزم بحمل الديات العظيمة التي لا يستطيع أحد من الناس تحملها وقد خلد الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى تلك

www.mtenback.com

الفضيلة ونشرها في الآفاق تحمل اسم بطليها الحارث بن عوف وشريكه في هذا الخلق الأبي هرم بن سنان بن أبي حارثة المري قائلاً[1]:

يَمِيْناً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيْلٍ وَمُبْرَمِ
تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا ... تَفَانَوْا ودقوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مِنْشَمِ
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً ... بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مُوطِنٍ ... بَعِيْدَيْنِ فِيْهَا مِنْ عُقُوْقٍ وَمَأْثَمِ
عَظِيْمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيْتُمَا ... وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ

وعقيل بن علفة هو ابن أخت الحارث بن عوف يشتركان في السيادة والشرف.

وبنوه مرة قبيلتهما ذات سيادة أيضا بين القبائل وقد أنجبت أفذاذ الرجال في الجاهلية ممن دافعوا عن مثل الجاهلية وأخلاق العرب والتحم أبطالها بحروب طاحنة مع الملوك تحقيقاً للوجود الذاتي ودفاعا عن الشرف الموروث مثلما فعل الحارث بن ظالم المري انتقاماً لجاره من النعمان بن المنذر ملك الحيرة وافتخاره بذلك وتهديده للنعمان في مثل قوله[2]:

حَسِبْتَ أَبَا قَابُوْسَ أَنَّكَ سَالِمٌ ... وَلَمَّا تُصِبْ ذلاً وَأَنْفُكَ رَاغِمُ
فَإِنْ تَكُ أَذْوَادٌ أُصِبْنَ وَصِبْيَةٌ ... فَهَذَا ابْنُ سَلْمَى رَأْسُهُ مُتَفَاقِمُ
عَلِمْتُ بِذِي الْحَيَّاتِ مَفْرِقَ رَأْسِهِ ... وَهَلْ يَرْكَبُ المَكْرُوْهَ إلا الأَكَارِمُ
أَخِصْبِيْ حِمَارٍ بات يَكْدُمُ نُجْمَةً ... أَتَأْكُلُ جِيْرَانِي وَجَارُكَ سَالِمُ
بَدَأْتُ بِهَذِي ثُمَّ أُثْنِي بِهَذِهِ ... وَثَالِثَةٍ تَبْيَضُّ مِنْهَا المَقَادِمُ

ولم يكن الحارث بن ظالم المري والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري، هما وحدهما من نبغ في هذه الدوحة الملتفة لكن سجلها من أبطال الرجال والرؤساء والسادة مملوء بنماذج كثيرة خلدها الشعر والفروسية والأنفة التي عرفت بها هذه الشجرة واشتهرت بها بين قبائل العرب حتى بلغت من السؤدد وإباء الضيم ما أضفى عليها روح التوثب إلى المجد، وبرز منها عدد صالح من أفذاذ الرجال منهم على سبيل

---

(١) انظر القصائد السبع الجاهليات، ص٢٦٢، لابن الأنباري، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة الرابعة ١٤٠٠/١٩٨٠م.

(٢) المفضليات، ص٣١١، للمفضل الضبي. تحقيق عبد السلام هارون وآخر، الطبعة الرابعة، ١٣٦١هـ ــ ١٩٤٢م.

www.mtenback.com

المثال لا الحصر الحصين بن الحمام المري الذي لقب بمانع الضيم لما اتصف به من الشجاعة والبطولة والذود عن الجار ومن يلوذ بحرمه من الناس[1]. ومنهم أيضاً سنان ابن أبي حارثة المري وهرم بن سنان ممدوح زهير بن أبي سلمى المشهور، وشريك الحارث بن عوف في حمل الديات والصلح بين عبس وذبيان، ومنهم بشامة بن الغدير المري خال زهير الذي فقأ في الجاهلية عين بعير لكثرة ماله[2] ومنهم غير من ذكرنا عدد أثل مجدا تالدا في الجاهلية وليس ذلك فحسب بل جمعوا إلى الفروسية الشعر الذي خلد ذكرهم، فكل من ذكرنا من بني مرة سادة شعراء حتى إن ابن سلام أفرد إحدى طبقات شعرائه لبني مرة خاصة وجاء فيها أربعة منهم[3].

هذا الموروث الضخم من ماضي بني مرة هو ما يفسر لنا تقبل هوج عقيل وعنجهيته ضد القوم الذين عرفوا له ماضيه الباذخ وحاضره المتواضع فأبقوا على علاقة طيبة معه ورغبوا في مصاهرته تطلعا إلى تكرار الصورة العليا للبطولة العربية التي جسدها أسلافه في غابر الزمن.

أما أثر هذا الماضي في عقيل وانعكاسه على سلوكه وتصرفاته فقد خلق في ذاته صورة مقلوبة لواقع الحياة التي يعيشها فلم يميز بين الزمن الذي عاش فيه آباؤه وأجداده وبين الزمن الذي أصبح يعيش فيه هو ولم يدرك الفارق بين الحالين، الماضي والحاضر إلا في لحظات الضيم عندما يحس بعجزه وضعفه أمام جبروت القوة التي لا يستطيع مقاومتها عندئذ يلجأ إلى تذكر الفارق بين الحالين فيلهج بهجاء الزمن وتغير الحال ويدرك الفارق بين ماضيه أو بالأصح ماضي أسلافه وحاضره الذي يعيش فيه فتراه في اللحظة التي يحس فيها باختلال موازين الحياة الاجتماعية وشلل الصورة في ذهنه يعود إلى نفسه فيشكو عض الزمن ويتوجع على نحو قوله[4].

وَكُنَّا بَنِي غَيْظِ الرِّجَالِ فَأَصْبَحَتْ ... بَنُو مَالِكٍ غَيْظاً وَصِرْنَا كَمَالِكِ

لَحَا اللَّهُ دَهْراً ذَعْذَعَ المَالَ كُلَّه ... وَسَوَّد أَشْبَاهَ الإِمَاءِ العَوَارِكِ

وبين الاستغراق في تأملات الماضي والتيقظ على لسعات الحاضر المؤلمة راوحت حياة الشاعر فاضطربت علائقه ومال إلى السخط على الناس والانتقام منهم وجاء شعره

---

(١) المفضليات، ص٦٤.

(٢) طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٧١٨. والمفضليات ص٣٤٨.

(٣) انظر الطبقة الثامنة من الإسلاميين في طبقات فحول الشعراء.

(٤) الأغاني، ج١٢، ص٢٥٦.

www.mtenback.com

هجاء لاذعا وسلوكه سخطا عاما وقناعته رفضا للحاضر ورغبته التعلق بأهداب الماضي وتقديس عاداته ومثله . كيف لا وهو على الماضي يتكيء وعلى الشرف الموروث يبني عزه وأنفته ويستشعر تميزه من غيره من معاصريه نقل الأصفهاني عن عبيد الله بن محمد عن الخراز عن المدائني عن اسحاق بن يحيى قال: رأيت رجلا من قريش يقول له عقيل بن علفة بالرفاء والبنين والطائر المحمود. فقلت: يا ابن علفة، إنه يكره أن يقال هذا، فقال: يا ابن أخي ما تريد إلى ما أحدث! إن هذا قول أخوالك في الجاهلية إلى اليوم لا يعرفون غيره. هذا التعلق بالماضي الذي تحدث عنه عقيل لم يكن موقفا عدائياً للحاضر ولا رفضا لتعاليم الإسلام، لكنه تثبيت للماضي وتمييز له وكره للتخلي عنه. فعقيل لم يكن هاديء الطبع سهل القياد ولا كان لين العاطفة، ولعله كان يأنف الاقتداء بالآخرين حتى ولو كانوا على صواب، ولم يكتسب كبير علم بما استجد من أمور حتى ينقاد للتغير ويؤمن بقيمة المستجدات في الحياة، وهذا هو السبب الذي جعله لا يشعر شعورا قويا بالتغير الذي قلب موازين الأمور من حوله وقد يكون من المناسب إيراد هذه القصة عنه التي ترويها كتب الأدب تقول هذه القصة: إن عمر بن عبد العزيز ابن مروان وهو أمير المدينة[1] عاتب ابن عم له أمه أخت عقيل أو من بني مرة فقال له قبح الله شبها غلب عليك من أخوالك، فبلغ ذلك عقيلا وهو في البادية فجاء إلى عمر حتى دخل عليه وقال له: ما وجدت لابن عمك شيئا تعيره به إلا خؤولتي، قبح الله شركما خالا[2]. وخال عمر بن عبد العزيز هو عمر بن الخطاب، لكن الفارق الاجتماعي عنده ثابت حسب تقديره ونظرته إلى أسس الماضي فهو لا يرى له كفءً

---

(١) الأغاني، ج١٢، ص٢٦٢، أما عيون الأخبار فقد نصت على أن عمر كان خليفة وجاء فيها: كلم عمر ابن عبد العزيز رجلا من بني أمية وقد ولدته نساء بني مرة فعاب عليه جفاء رآه منه، فقال: قبح الله شبها غلب عليك من بني مرة وبلغ ذلك عقيل بن علفة المري وهو بجفناء من المدينة على أميال في بلد بني مرة فركب حتى قدم على عمر وهو بدير سمعان، فقال: هيه أمير المؤمنين! بلغني أنك غضبت على فتى من بني أمك.. ثم أورد الرواية، أنظر عيون الأخبار، ج٤، أما رواية الأغاني فتقول: إن عمر كان أميراً للمدينة، وتذكر أن الخلاف بين عمر ويعقوب بن سلمة، وأن يعقوب قد أغلظ لعمر في مقالٍ فقال: له اسكت فإنك ابن اعرابية جافية، ثم إن صخر بن أبي الجهم قال: هو والله أيها الأمير شر الثلاثة، ولم يلقبه بأمير المؤمنين، بل قال أيها الأمير، ومما يزيد رواية عيون الأخبار ضعفا هو أن خلافة عمر لم تدم أكثر من سنتين ولم يكن فيها متبسطاً يلقى الناس ويعاتب الشباب ثم إن يعقوب بن سلمة لن يغلظ بالكلام لعمر وهو أمير المؤمنين ولن يكون من السهل وصول عقيل إليه متى شاء.

(٢) وخال عمر بن عبد العزيز هو عمر بن الخطاب ولكن عقيلاً لم يدرك الفارق الاجتماعي بينه وبين عمر ابن الخطاب ولهذا قبح شرهما خالا.

www.mtenback.com

ولو كان ابن الخطاب وذلك أنه يزن الأمور بموازين الماضي التي تجعله لا يدرك ما رفع قدر عمر وغيره وهذا السبب جعله ينظر إلى أن مُثُل الجاهلية تستحق الثبات والدوام وجديرة بالاحترام والمحافظة وهي في رأيه يجب أن تبقى وألا يصرف الناس عنها إلى الجديد وما أحدث. ومرد قناعته متعلق بنشأته في البادية وعدم تفقهه في الدين حتى إنه لم يقرأ إلا القليل من القرآن. حكى ابن سلام عن أبي عبيدة أنه قيل لعقيل: والله ما نراك تقرأ آية من كتاب الله! قال: بلى والله إني لأقرأ، فقرأ عليهم «إنا بعثنا نوحا إلى قومه» وفي رواية «فرطنا نوحا». فلما صحح له من استقرأه الآية وقال: إن الصحيح أن تقول: «إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه» لم يفهم الخطأ فيما ذهب إليه، وأشهد الحاضرين أنهم يعلمون أن فرطنا وبعثنا وأرسلنا سواء لا يختلف معنى واحدة منهن عن الأخرى وأنشد عندئذٍ[1]:

خَذَا صَدْرَ هَرْشَى أَوْ قَفَاهَا فَإِنَّهُ كِلاَ جَانِبَيْ هَرْشَى لَهُنَّ طَرِيْقُ

شاعريته:

احتل عقيل مكانة في طبقات ابن سلام في الطبقة الثامنة ــ كما مر ــ من طبقة الإسلاميين حسب المقاييس التي رتب بها ابن سلام طبقات كتابه، ووضع الشعراء في أماكنهم التي يحتلونها من حيث مكانتهم في نفوس الناس وشعرهم[2] مع أخذه الكثرة والقلة في الحسبان ويظهر أن وضع عقيل في هذه الطبقة المتأخرة جاء متأثرا بعامل القلة لما حفظ له من شعر وليس بعامل الجودة وقد بين أبو الفرج هذا الرأي ووصفه بأنه شاعر مقل مجيد من شعراء الدولة الأموية[3] وهذا ما يفسر لنا سبب وضعه في الطبقة الثامنة عند ابن سلام.

وقد حاولت جميع ما تيسر من شعره وما جادت به أمهات المراجع الأدبية منه فوجدته قليلاً حقا ــ كما هو مثبت في نهاية هذا البحث ــ وهذا الكم لا يضعه في هذا الموضع وظني أن صاحب الطبقات كان معتمداً على مكانة الشاعر الاجتماعية وقصص غيرته وجفاء طبعه وما شاع بين الناس من ذلك وما يتردد على الألسن من شعر

---

(١) انظر تفاصيل هذا الحديث عند ابن سلام في طبقات فحول الشعراء ج٢، ص٧١٤، وكذلك ماورد في الأغاني، ج١٢، ص ٢٦٣. وفيها أن السائل له كان عمر بن عبد العزيز.

(٢) انظر مقدمة طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٢٦.

(٣) الأغاني، ج١٢، ص٢٢٥.

www.mtenback.com

ولو كان ابن الخطاب وذلك أنه يزن الأمور بموازين الماضي التي تجعله لا يدرك ما رفع قدر عمر وغيره وهذا السبب جعله ينظر إلى أن مُثُل الجاهلية تستحق الثبات والدوام وجديرة بالاحترام والمحافظة وهي في رأيه يجب أن تبقى وألا يصرف الناس عنها إلى الجديد وما أحدث. ومرد قناعته متعلق بنشأته في البادية وعدم تفقهه في الدين حتى إنه لم يقرأ إلا القليل من القرآن. حكى ابن سلام عن أبي عبيدة أنه قيل لعقيل: والله ما نراك تقرأ آية من كتاب الله! قال: بلى والله إني لأقرأ، فقرأ عليهم «إنا بعثنا نوحا إلى قومه» وفي رواية «فرطنا نوحا». فلما صحح له من استقرأه الآية وقال: إن الصحيح أن تقول: «إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه» لم يفهم الخطأ فيما ذهب إليه، وأشهد الحاضرين أنهم يعلمون أن فرطنا وبعثنا وأرسلنا سواء لا يختلف معنى واحدة منهن عن الأخرى وأنشد عندئذٍ[1]:

خَذَا صَدْرَ هَرْشَى أَوْ قَفَاهَا فَإِنَّهُ كِلاَ جَانِبَيْ هَرْشَى لَهُنَّ طَرِيْقُ

شاعريته:

احتل عقيل مكانة في طبقات ابن سلام في الطبقة الثامنة ــ كما مر ــ من طبقة الإسلاميين حسب المقاييس التي رتب بها ابن سلام طبقات كتابه، ووضع الشعراء في أماكنهم التي يحتلونها من حيث مكانتهم في نفوس الناس وشعرهم[2] مع أخذه الكثرة والقلة في الحسبان ويظهر أن وضع عقيل في هذه الطبقة المتأخرة جاء متأثرا بعامل القلة لما حفظ له من شعر وليس بعامل الجودة وقد بين أبو الفرج هذا الرأي ووصفه بأنه شاعر مقل مجيد من شعراء الدولة الأموية[3] وهذا ما يفسر لنا سبب وضعه في الطبقة الثامنة عند ابن سلام.

وقد حاولت جميع ما تيسر من شعره وما جادت به أمهات المراجع الأدبية منه فوجدته قليلاً حقا ــ كما هو مثبت في نهاية هذا البحث ــ وهذا الكم لا يضعه في هذا الموضع وظني أن صاحب الطبقات كان معتمداً على مكانة الشاعر الاجتماعية وقصص غيرته وجفاء طبعه وما شاع بين الناس من ذلك وما يتردد على الألسن من شعر

---

(١) انظر تفاصيل هذا الحديث عند ابن سلام في طبقات فحول الشعراء ج٢، ص٧١٤، وكذلك ماورد في الأغاني، ج١٢، ص ٢٦٣. وفيها أن السائل له كان عمر بن عبد العزيز.

(٢) انظر مقدمة طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٢٦.

(٣) الأغاني، ج١٢، ص٢٢٥.

www.mtenback.com

له، فساعد ذلك على أن يكون أحد أهل الطبقات وإلا فشعره الذي بين أيدينا لا يحله ذلك المكان.

فعقيل إذن قليل الشعر ولعله أيضاً قصير النفس فيه لا يقول غير الأبيات التي تثيرها نفسه وهوج طبيعته ويمليها عليه شعور خاص فإذا عبر عن شعوره بما تيسر من الأبيات رأى أن مهمته قد انتهت ولا يرى داعياً للاستطراد في الشعر وطول القصيد. روى ابن قتيبة أن عقيلا سُئِل، مالك لا تطيل الهجاء؟ فقال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق، وفي الأغاني أن يحيى بن الحكم وهو يومئذٍ أمير المدينة المنورة استنشده شعره فأنشده بيتين اثنين هما[1]:

تَعَجَّبَتْ أَنْ رَأَتْ رَأْسِي يُجَلِّلُهُ ... مِنْ الرَّوَائِعِ شَيْبٌ لَيْسَ مِنْ كِبَرِ

وَمَنْ أَدِيْمٍ تَوَلَّى بَعْدَ جِدَّتِهِ ... وَالجَفْنُ يَخْلِقُ فِيْهِ الصَّارِمُ الذَّكَرُ

فاستزاده، فقال له: ما انتهيت إلا إلى ما سمعت. فقال: أما والله إنك لتقول فتقصر: فقال إنَّما يكفي من القلادة ما أحاط بالرقبة[2]. فهاتان الروايتان شاهد على قصر نفسه في الشعر وقلة ما نظم وعلى الرغم من إتهام معاصريه له بقلة الشعر وإقراره بما عرفوه عنه وعابوه به، فإننا نميل إلى أن له شعراً أكثر بكثير مما وصل إلينا وأن هذا الذي بين أيدينا لا يضعه في مكانه من طبقات ابن سلام. ونميل إلى أن ما وصل إلينا لا يمثل مجمل الشعر لكنه يتضمن الأبيات الذائعة التي يرددها له الرواة وهي مرتبطة بأحاديث تنسب إليه، وقصص هو بطلها تصفه في بعض مواقفه وتفسر بعض تصرفاته وتتحدث عن شخصيته وشرفه، أو هجائه لخصومه. ومجمل ما حفظت لنا كتب التاريخ والأدب وتراجم الرجال وشواهد النحو تعطي انطباعاً عن مذهبه في الهجاء الذي عرفه الناس به وبأسلوبه، مع قصر الهجاء على الجوانب المعنوية وسلب القيم الاجتماعية من مهجويه وقلمَّا تعرض لغير ذلك فهو يقول مثلاً:

إِذَا جَارَةٌ حَلَّتْ عَلَى الهُجْمِ لَمْ تَجِدْ ... كَرِيْماً وَلَمْ تَعْدَمْ لَئِيماً يَزُورُهَا

وهذا مبدأ يتفق مع موقف الشاعر وهو الغيرة على المرأة. والجارة أولى أن يغار عليها وهو لمكان هذا الأمر في نفسه يرى أن أبرز صفات القبح في من يهجوهم وما يجب كشفه للناس عنهم هذه الخصلة الذميمة المتمثلة في الاستهانة بحرمة الجوار

---

(١) الشعر والشعراء، ج٢، ص ٨٢، لابن قتيبة والنص في الامتاع والمؤانسة، ج٣ ص٥٩.

(٢) الأغاني، ج١٢، ص٢٦٤.

www.mtenback.com

وسلوك الخطيئة التي تتصل بسوء أخلاق المهجوين.

أما دواعي الغطرسة والتعالي فهي ماثلة في شعره يجسدها خياله ويضخم معناها عندما يهجو أحدا أو حتى وهو ينتقم انتقامه الغاضب ممن أساء إليه، فبنو حن الذين أهانوا جواره وسخروا منه، يعد قدرتهم عليه آية من آيات الزمان، عندما أصبحوا غالبين له وقادرين عليه، فكانت إستهانتهم به بمنزلة إنقلاب لمقاييس الوجود التي يُتَعَجَّبُ منها فهو يقول:

لَقَدْ عَقَرَتْ حُنٌّ بِنَا وتلعَّبَتْ وَمَا عَقَرَتْ حُنٌّ بِذِي حَسَبٍ قَبْلِي

ورأيه يتغير بحسب الظروف التي تحيط به، وبحسب حال مهجويه فيجعل لكل حادثة حديث، فإذا ارتفع بطن من قومه وأنجب الرجال البارزين الذين تفوقوا عليه، نظر إليهم على أنهم ليسوا أكفاء وليسوا أهلاً لهذه المنزلة وأنهم غير جديرين بالمنزلة التي وصلوا إليها ولا يجب أن يرتفعوا عن عقيل وعشيرته، وَعَدَّ ذلك إشارة تحول لا ترضيه وحادث لا يقر به. وإن كان هو الواقع الذي قبله على مضض وأعلنه بأسف شديد وها هو يقول في ذلك:

وَكُنَّا بني غَيْظ الرِّجَالِ فَأَصْبَحتْ بَنُو مَالِكٍ غَيْظاً وَصِرنَا كَمَالِكِ

وعلى هذا النحو تسير أبيات عقيل وشعره وهجاؤه، قطع قصيرة يرسلها كالأمثال وأبيات ونتف تثيرها حاسة الغضب والعدوان فيلقي ما شاء بسرعة ثم يتوقف لا يعيد النظر في الشعر ولا يزيد فيه ولا يطيل، لقناعته بأن القليل المعبر عما في نفسه يغني عن الإطالة فيما لا طائل من ورائه كما صرح بذلك، وجعل شعره قلائد تكفي الاحاطة في العنق منها عن السربال الفضفاض.

www.mtenback.com

مجموع شعر عقيل بن عُلَّفة المري

«من الطويل»

(١)

وقال عقيل بن علفة المري:

أَسَعْدَ هُذَيْمٍ إنَّ سَعْداً أَبَاكُمُ ... أَبَى لاَ يُوَافي غَايَةَ القَيْنِ مِنْ كَلْب

وَجَاءَ هُذَيْمٌ والرِّكَابُ مُنَاخَةٌ ... فَقِيْلَ نَأَخَّرْ يَا هُذَيْمُ عَلَى العَجْبِ

فَقَال هُذَيْمٌ: إنَّ فِي العَجْبِ مَرْكَبِي ... وَمَرْكَبُ آبَائِي وَفِي عَجْبِهَا حَسْبِي

* الأبيات في الأغاني، ج ١٢، ص ٢٦٩.

(٢)

وقال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

قَتَلْنَا شُرَحْبِيْلاً رَبِيْبَ أَبِيْكُمُ ... بِنَاصِيَةِ الْمَعْلُوْبِ ضَاحِيَةً غَصْبَا

فَلَمْ تُنْكِرُوا أَنْ يَغْمِزَ الْقَوْمُ جَارَكُمْ ... بِإِحْدَى الدَّوَاهِي ثُمَّ لَمْ تَطْلَعُوا نَقْبَا

*البيتان في الأغاني، ج١، ص١٠٣.

(٣)

وقال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

وَمَاكَانَ قَبْلَ المَالِكِيَّةِ لِي هَوًى ... ولا بَعْدَهَا إلا هَوى أَنَا غَالِبُه

ومَا كَادَ حُبُ المَالِكِيَّةِ يَنْقَضِي ... ومِن مَالِكٍ عَظْمٌ صَحِيحٌ أُعَاتِبُه

فَلَوْلاَ هَوَايَ المَالِكِيَّةَ أُوْرِدَتْ ... بَنُو مَالِك بَحْراً تَنَاهَى غَوارِبُه

العققة والبررة نوادر المخطوطات ج٢، ص ٣٥٧

(٣)

وقال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَشُنَّنَّ غَارَةً ... بِغَضْيَانَ أَوْ وَادِي تَبُوكَ الْمُصَوَّبِ

وَهَلْ أَشْهَدَنْ خَيْلاً كَأَنَّ غُبَارَهَا ... بِأَسْفَلَ عُلْكَدٍّ دَوَاخِنُ تَنْضُبِ

تُصَبُّ عَلَى رُمْصٍ كَأَنَّ عُيُونَهُمْ ... فِقَاحُ الدَّجَاجِ فِي الْوَدِيِّ الْمُعَصَّبِ

* الأبيات كاملة في طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص ٧١٧، وفي كتاب الحيوان، ج٢، ص ٣٠٦، وفيه تبيت بدل تصب. والبيت الثاني في اللسان مادة «نضب».

www.mtenback.com

(٤)

وقال عقيل بن علفة المري: «من الكامل»

قَبَحَ الإِلَهُ ـ وَلاَ أُقَبِّحُ غَيْرَهُ ... ثَفَرَ الحِمَارِ مُضَرَّسَ بْنَ سَوَادِ

تَنْعِي إِمْرَءاً لَمْ يَعْلُ أُمَّكَ مِثْلُهُ ... كَالسَّيْفِ بَيْنَ خَضَارِمٍ أَنْجَادِ

* البيتان في الأغاني، ج١٢، ص ٢٧٠.

(٥)

وقال عقيل بن علفة المري: «من الوافر»

تَنَاهَوْا وَأَسْأَلُوْا ابْنَ أَبِي لَبِيْدِ ... أَعُتْبَهُ الضَّبَارِمَةُ النَّجِيْدُ

وَلَسْتُمْ فَاعِلِيْنَ إِخَالُ حتى ... يَنَالَ أَقَاصِيَ الْحَطَبِ الْوُقُوْدُ

وَأُبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ إِلَيَّ فِيْهِ ... لَسَانِي مَعْشَرٌ عَنْهُمْ أَذُوْدُ

وَلَسْتُ بِسَائِلٍ جَارَاتِ بَيْتِي ... أَغُيَّابٌ رِجَالُكِ أَمْ شُهُودُ

وَلَسْتُ بِصَادِرٍ عَنْ بِيْتِ جَارِي ... صُدُوْرَ العَيْرِ غَمَّرَهُ الوُرُودُ

وَلاَمُلْقٍ لِذِي الوَدَعَاتِ سَوْطِي ... لأُلْهِيَهُ وَرَبَّتَهُ أُرِيْدُ

* الأبيات بهذا الترتيب في حماسة أبي تمام، ج١، ص٢٢٧، وفي ديوان الحماسة للمرزوقي، ج١، ص ٤٠٠، وفي سمط اللآلي، ص ١٨٥ والبيت ٦ في الصحاح «ودع» وفي اللسان، المادة نفسها، والأبيات كاملة في الخزانة، ج٩، ص ١٥٦، والبيت الأخير في كتاب معاني الحماسة، ص ٨٦.

(٦)

قال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

أَمَاوِيَّ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلٌ غَداً ... وَحَقِّ ثَوِيٍّ نَازِلٍ أَنْ يُزَوَّدَا

إِذَا قُلْتُ قَدْ سَامَحْتُ سَهْماً وَمَازِناً ... أَبَى النَّسَبُ الدَّانِي وَكُفْرُهُمُ اليَدَا

وَقَدْ أَسْلَمُوا أَستاهِمِ لِقَبِيْلَةٍ ... قُضَاعِيَّةٍ يُدْعَوْنَ حُنَّا وَأَصْيَدَا

فَمَا كُنْتَ أُمًّا بَلْ جَعَلْتُكَ لِي أَخاً ... وَقَدْ كُنْتَ فِي النَّاسِ الطَّرِيْدَ الْمُشَرَّدَا

www.mtenback.com

عُوَيْفَ اسْتِهَا قَدْ رُمْتَ وَيْلَكَ مَجْدَنَا ... قَدِيْماً فَلَمْ تَعْدُ الحِمَارَ المُقَيَّدَا
وَلَوْ أَنِّي يَوْمَ ابْنِ جُرْحٍ لَقِيْتُهُمْ ... لَجَرَّدْتُ فِي الأَعْدَاءِ عَضْباً مُهَنَّدَا
وَإِنَّ عَلَى جَفْرِ الهَبَاءَةِ هَامَةً ... تُنَادِي بَنِي بَدْرٍ وَعَاراً مُخَلَّدَا

* يقول صاحب الأغاني: لما كان يوم ابن جرح، واقتتلت بنو مرة وبنو حن بن عذرة قال عويف القوافي لبني مرة يهجوهم بتركهم نصرهم:

كُنَّا لَكُمْ يَامُرُّ أُمًّا حَفِيَّةً ... وَكُنْتُمْ لَنَا يَا مُرُّ بَوًّا مُجَلَّدَا
وَكُنْتُمْ لَنَا سَيْفاً وَكُنَّا وِعَاءَهُ ... إِذَا نَحْنُ خِفْنَا أَنْ يَكِلَّ فَيُغْمَدَا

* فأجابه عقيل بقصيدته التي أولها، وذكر هذه الأبيات. الأغاني ج١٩، ص ١٣٨. وهذا دليل على أن القصيدة ليست كاملة وأن لها بقية لم تصل إليها.

* الأبيات ١ إلى ٦ في الأغاني ج١٩، ص ١٣٨، والبيت السابع في معجم ما استعجم للبكري، ج٣، ص ١٣٤٤. مادة الهباءة لأن الربيع بن زياد قتل حصن بن بدر على ماء الهباءة في حرب من أيام داحس كان لعبس على ذبيان. وقد جاء في الوحشيات ص ٢٤٢ خمسة أبيات من هذه القصيدة مختلفة ومختلطة مع بعض النصوص الواردة هنا.

(٧)

قال عقيل بن علفة المري يهجو بني بدر بن عمرو: «من الطويل»

إِذَا جَارَةٌ حَلَّتْ عَلَى الْهُجْمِ لَمْ تَجِدْ ... كَرِيْماً وَلَمْ تَعْدَمْ لَئِيْماً يَزُوْرُهَا
أَلَمْ تَرَ بَدْراً لاَ تُمَانِي دِمَاءَهُمْ ... دِمَاءٌ وَلَمْ يَعْقِدْ لجارٍ مُجِيْرُهَا
أَتَقْصُرُ عَنْ بَاعِ الْكِرَامِ أَكُفُّهَا ... وَتَبْلُغُ أَنْصَافَ الْمَخَازِي أُيُوْرُهَا

* الأبيات في طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص ٧١٣.

(٨)

وقال عقيل بن علفة المري: «من البسيط»

تَعَجَّبَتْ إِذْ رَأَتْ رَأْسِي تُجَلِّلُهُ ... مِنَ الرَّوَائِعِ شَيْبٌ لَيْسَ مِنْ كِبَرِ
وَمِنْ أُدِيْمٍ تَوَلَّى بَعْدَ جِدَّتِهِ ... وَالْجَفْنُ يَخْلُقُ فِيْهِ الصَّارِمُ الذَّكَرُ

* البيتان في الأغاني، ج١٢، ص ٢٦٤.

www.mtenback.com

(٩)

قال عقيل بن علفة المري: «من الوافر»

رَدَدْتُ صَحِيْفَةَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا أَبَتْ أَعْرَاقُهُ إلاَّ احْمِرَاراً

* البيت في الجوهرة، ج١، ص ١٢٦. وفي الكامل ج٢، ص ٤٩، وفي الشعر والشعرا، ج٤، ص ١٢.

(١٠)

وقال عقيل بن علفة المري: من البسيط»

لاَ بَارَكَ اللهُ فِي قَوْمٍ يَسُوْدُهُمُ ذِئْبٌ عَوَى وَهوَ مَشْدُودٌ عَلَى كُوْر

لَمْ يَبْقَ مِنْ مَازِنٍ إلاَّ شِرَارُهُمُ فَوْقَ الحَصَى حَوْلَ زَيَّانِ بْنِ مَنْظُوْر

* البيتان في كتاب الحيوان، ج١، ص ٣٧٨، البيت الأول في البرصان والعرجان، ص ٢٦٦.

(١١)

وقال عقيل بن علفة المري: «من الرجز»

إنِّي وَإنْ سِيْقَ إلَيَّ الْمَهْرُ أَلْفٌ وَعِبْدَانٌ وَذَوْدٌ عَشْرُ

أَحَبُّ أَصْهَارِي إلَيَّ القَبْرُ

* الرجز في الآمالي، ج١، ص ٣٧٣، وفي الجوهرة، ج١، ص ١٢٦ وفي العقد الفريد، ج٢، ص ١٩١ وفي بهجة المجالس ج٢، ص٧٦٨.

(١٢)

وقال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

أَلَمْ تَرَيَا أَطْلاَلَ حَنَّتْ وَشَاقَهَا تَفَرُّقُنَا يَوْمَ الْحبيْبِ عَلَى ظَهْرِ

وَأَسْبَلَ مِنْ جِرْبَاءَ دَمْعٌ كَأَنَّهُ جُمَانٌ أَضَاعَ السِّلْكَ أَجْرَتْهُ فِي سَطْرِ

لَعَمْرُكَ إنِّي يَوْمَ أَغْدُوْ عَمَلّساً لَكَالْمُتَرَبِّي حَتْفَهُ وَهُوَ لاَ يَدْرِي

وَإنِّي لأُسْقِيْهِ غَبُوْقِي وَإنَّنِي لَغَرْثَانُ مَنْهُوْكُ الذِّرَاعَيْنِ وَالنَّحْرِ

* الأبيات في الأغاني، ج٣، ص٢٦١.

www.mtenback.com

(١٣)

وقال عقيل بن علفة يهجو عمَّار بن عيينة بن حصن. «من البسيط»

لَـمْ يَبْـقَ مِـنْ آلِ بَـدْرٍ غَيْـرُ أَهْجِنَـةٍ شُعْـرٌ أُنُوفُهُـمُ حَـوْلَ ابْـنِ عَمَّـارِ

* البيت في البرصان ص ٢٩٨. قال محقق الكتاب: «إن البيت هجاء لابن عمار كما هو واضح، وليس لعمار كما ذكر الجاحظ، ولعل المقصود بهذا هو مسعدة بن عمار ابن أبان بن سعد بن عيينة بن حصن الذي كان من سادات أهل الكوفة، ويرجح هذا أن عيينة لم يكن بين أبنائه من اسمه عمار، انظر جمهرة الأنساب، ص ٢٥٦، ٢٥٧».

(١٤)

وقال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

أَلَـمْ تَقُـلْ يَـاصَاحِبَ الْقَلُـوْصِ دَاوُدَ ذَا السَّاجِ وَذَا الْقَمِـيْصِ
كَـانَتْ عَلَيْـهِ الأَرْضُ حَـيْصَ بَـيْصِ حَتَّـى يَلُـفَّ عَـيْصَةً بِعَـيْضِ
وَكُنْتُ بِالشُّبَانِ ذَا تَقْمِيْصِ

* الأبيات في الأغاني، ج١٢، ص٢٢٦.

(١٥)

وقال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

وَلِلدَّهْـرِ أَثْـوَابٌ فَكُـنْ فِـي ثِيَابِـهِ كَلِبْسَتِـهِ يَوْمـاً أَجَـدَّ وَأَخْلَقَـا
وَكُـنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَىٰ إِذَا كُنْتَ فِيْهِـمِ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمْقَىٰ فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقَا

* البيتان في حماسة المرزوقي ج٣، ص١١٤٥ وفي الأمالي، ج١، ص٣٧٤، وفي حماسة أبي تمام، ج١، ص ٥٧٣. وفي معجم الشعراء ص٣٠١.

(١٦)

قال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

فَـرِقْتُ إِنِّـي رَجُـلٌ فَـرُوْقُ بِضَحْكَـةٍ آخِرُهَـا شَهِيْـقُ

* البيت في العقد الفريد، ج٢، ص١٩١.

www.mtenback.com

(١٧)

قال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

خُـذَا صَدْرَ هَـرْشَىٰ أَو قَفَاهَـا فَإِنَّـهُ كِـلاَ جَانِبَـيْ هَـرْشَى لَهُـنَّ طَرِيْـقُ

* قال مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي في كتابه المغانم المطابة في معالم طابة ــ حرف الهاء ــ قال قائلهم. وكأنه يعزو البيت لغير عقيل بن علفة. وهو بيت تذكره المصادر في سياق قصة عقيل وقراءته «لفرطنا أو بعثنا أو أرسلنا نوحاً» ولم تشر إلى غير ذلك، ولا ندري هل هو من شعره أو أنه استشهد به، كما أنه قد ورد في حاشية سمط اللآلي الآتي: «المثل في العقد ٥١٢ والمستقصي وفي الثمار ٤٢٠، والعسكري ١٦٦، ١٣٨/٢، والميداني ٧٩٢، ٦٣، ٨٥، والبيت أنشده عقيل بن علفة في خبر فلا ندري هل هو له أو لغيره وانظر في خ٢٧٨/٢ والبلدان والبيت في المعجمين وهذا الفصل عنه في زيادات الأمثال».

البيت في سمط اللآلي، ٤٣٧ وفي طبقات فحول الشعراء ج٢، ص٧١٤ وفي الخزانة للبغدادي ج٤ ص٤٨٣ وأيضاً في الأغاني ج١٢، ص٢٦٣.

(١٨)

قال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

لَعَمْرِي لإِنْ زَوَّجْتُ مِـنْ أَجْـلِ مَالِـهِ هَجِيناً لَقَـدْ حُـبِّبْتَ إِلَـيَّ الدَّرَاهِـمُ

أَأُنْكِـحُ عَبْـداً بَعْـدَ يَحْيَـى وَخَالِـدٍ أُولَـئِكَ أَكْفَائِـي الرِّجَـالُ الأَكَـارِمُ

أَبَـى لِـيَ أَن أَرْضَى الدَّنِيَّـةَ أَنَّنِـي أَمُـدُّ عِنَانـاً لَـمْ تَخُنْـهُ الشَّكَائِـمُ

* الأبيات في الأغاني، ج١٢، ص٢٦٦.

(١٩)

قال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

قَضَتْ وَطَـراً مِـنْ دَيْـرِ سَعْـدٍ وَطَالَمَـا عَلَـى عُـرُضٍ نَاطَحْنَـهُ بالجَمَاجِـمِ

إِذَا هَبَـطَتْ أَرْضاً يَمُـوتُ غُرَابُهَـا بِهَـا عَـطَشاً أَعْطَيْنَهُـمْ بالخَزَائِـمِ

فَأَصْبَحْـنَ بالمَوْمَـاةِ يَحملـن فِتْيَـةً نَشَاوَى مِـنَ الإِدْلاَجِ مِيْـلَ العَمَائِـمِ

إِذَا عَلَـمٌ غَادَرْنَـهُ بِتَنُوفَـةٍ تَذَارَعْـنَ بالأَيْـدِي لآخَـرَ طَـاسِمِ

كَـأَنَّ الْكَـرَى سَقَّاهُـمُ صَرْخَدِيَّـةً عُقَـاراً تَـمشَّىٰ فِـي المَطَـا والقَوَائِـمِ

www.mtenback.com

* الأبيات، ١، ٣، ٥ في طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٧١٥ والبيتان ١، ٥ في الأغاني، ج١٢، ص ٢٥٧، والأبيات، ١؛ ٣، ٥، في الأمالي ج١، ص ٣٧٢ وفيها دير يحيى، والأبيات، ١، ٣، ٥ في العقد الفريد، ج١٢، ص ١٩٢.

(٢٠)

قال عقيل بن علفة المري: «من الكامل»

وَكُنَّا بَنِي غَيْظِ الرِّجَالِ فَأَصْبَحَتْ ... بَنُو مَالِكٍ غَيْظاً وَصِرْنَا كَمَالِكِ

لَحَا اللهُ دَهْراً ذَعْذَعَ الْمَالَ كُلَّهُ ... وَسَوَّدَ أَشْبَاهَ الإِمَاءِ العَوَارِكِ

* البيتان في الأغاني، ج١٢، ص ٢٥٦ وفي العقد الفريد ج٣، ص ٤١٥ وفي سمط اللآلي، ص ١٨٠، والبيت الأخير في الخزانة، ج٤، ص ٤٨٢.

(٢١)

وقال عقيل بن علفة المري: «من المتقارب»

فَإِمَّا هَلَكْتُ وَلَمْ آتِكُمْ ... فَأَبْلِغْ أُمَاثِلَ سَهْمٍ رَسُوْلاَ

بِأَنَّ الَّتِي سَامَكُمْ قَوْمُكُمْ ... لَقَدْ جَعَلُوْهَا عَلَيْكُمْ عُدُوْلاَ

هَوَانُ الحَيَاةِ وَضَيْمُ المَمَاتِ ... وَكُلاًّ أَرَاهُ طَعَاماً وَبِيْلاَ

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ إِحْدَاهُمَا ... فَسِيْرُوْا إِلَى المَوْتِ سَيْراً جَمِيْلاَ

وَلاَ تَقْعُدُوا وَبِكُمْ مِنَّةٌ ... كَفَى بِالْحَوَادِثِ لِلْمَرْءِ غُوْلاَ

* هذه القصيدة منسوبة في طبقات فحول الشعراء إلى بشامة بن الغدير وقبلها في الطبقات:

وَنُبِّئْتُ قَوْمِي وَلَمْ أَلْقَهُمْ ... أَجَدُّوا عَلَى ذِي شُوَيْسٍ حُلُولاَ

فَإِنَّكُمُ وَعَطَاءَ الرِّهَانِ ... إِذَا جَرَّتِ الْحَرْبُ جُلاًّ جَلِيْلاَ

كَثَوْبِ ابْنِ بَيْضٍ وَقَاهُمْ بِهِ ... فَسَدَّ عَلَى السَّالِكِيْنَ السَّبِيْلاَ

* ويبدو أن طبقات فحول الشعراء قد خلطت بين القصيدتين فالنص الأول مرتبط بحرب حدثت في زمن عقيل بن علفة وهي الحرب التي كانت بين بني مرة وبني حنن كما مر في القصيدة الدالية التي هجا فيها عقيل عويف القوافي وتحدث عن بني سهم ومازن واختلال حالهم في الحرب تلك. أما الأبيات الثلاثة الأخيرة التي صدر بها ابن سلام القصيدة في طبقاته فيخيل إليَّ أنها ليست لعقيل وإنما هي أقرب إلى شعر بشامة

www.mtenback.com

ابن الغدير. الأبيات الخمسة في المتن في الأغاني، ج١٢، ص ٢٦٧. أما طبقات فحول الشعراء فجاء فيها كامل القصيدة، ج٢، ص٧٢٥. منسوبة لبشامة وفي البيت الثاني، هم بدل لقد، وفي البيت الثالث خزي بدل ضيم، وفي الأخير تهلكوا بدل تعقدوا.

(٢٢)

وقال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

إنْ يَشْرَق الْكَلْبِيُّ فِيكُمْ بِرِيْقِهِ ... بَنِي جَعْفَرٍ يَعْجَلْ لِجَارِكُمُ الْقَتْلُ
فَلاَ تَحْسَبُوا الإِسْلاَمَ غَيَّرَ بَعْدَكُمْ ... رِمَاحَ مَوَالِيْكُمْ فَذَاكَ بِكُلِّ جَهْلُ
بَنِي جَعْفَرٍ إِنْ تُرْجِعُوا الْحَرْبَ بَيْنَنَا ... نَدِنْكُمْ كَمَا كُنَّا نَدِيْنُكُمُ قَبْلُ
بَدَأْتُمْ بِجَارِي فَانْتَنَيْتُ بِجَارِكُمْ ... وَمَا مِنْهُمَا إِلاَّ لَهُ عِنْدَنَا حَبْلُ

* الأبيات في الأغاني، ج١٢، ص٢٦٩.

وقال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

لَعَمْرِي لَقَدْ أَضْحَتْ سُلاَفَةُ بُدِّلَتْ ... مِنَ الرملَةِ القَفْرَاءِ قُفْلاً تُزَاوِلُه
ونَوْحاً يُغَنِّيهَا دَوِينَ حَمَامَةٍ ... إِذا هِيَ ضَجَّتْ بُزْلُه وَجَوَازِلُه

طبقات فحول الشعراء ج٢، ص٧١١

(٢٣)

وقال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

لَقَدْ عَقَرَتْ حُنٌّ بِنَا وَتَلَعَّبَتْ ... وَمَا لَعِبَتْ حُنٌّ بِذِي حَسَبٍ قَبْلِي
رُوَيْداً بَنِي حُنٍّ تَسِيْحُوا وَتَأْمَنُوا ... وَتَنْتَشِرُ الأَنْعَامُ فِي بَلَدٍ سَهْلِ

* البيتان في طبقات فحول الشعراء، وفي الأغاني ج١٢، ص ٢٥٧ وفيها لقد هزئت بدل لقد عقرت.

(٢٤)

وقال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

تَأَمَّلْ لِمَا قَدْ نَالَ أُمَّكُ هِجْرِسُ ... فَإِنَّكَ عَبْدٌ يَا زَمِيْلُ ذَلِيْلُ
وإِنِّي مَتَى أَضْرِبْكَ بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً ... أُصَبِّحْ بَنِي عَمْرٍو وَأَنْتَ ذَلِيلُ

* البيتان في الحيوان، ج٦، ص ٣٠٩.

www.mtenback.com

(٢٥)

وقال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءَتْ قَوَافِلُ خَبَّرَتْ ... بِأَمْرٍ مِنَ الدُّنْيَا عَلَيَّ ثَقِيْلُ
وَقَالُوا أَلاَ تَبْكِي لِمَصْرَعِ فَارِسٍ ... نَعَتْهُ جُنُوْدُ الشَّامِ غَيْرَ ضَئِيْلِ
فَأَقْسَمْتُ لاَ أَبْكِي عَلَى هُلْكِ هَالِكٍ ... أَصَابَ سَبِيْلَ اللهِ خَيْرَ سَبِيْلِ
كَأَنَّ الْمَنَايَا تَبْتَغِي فِي خِيَارِنَا ... لَهَا نَسَباً أَوْ تَهْتَدِي بِدَلِيْلِ
تَحُلُّ الْمَنَايَا حَيْثُ شَاءَتْ فَإِنَّهَا ... مُحَلَّلَةٌ بَعْدَ الْفَتَى ابْنِ عَقِيْلِ
فَتًى كَانَ مَوْلاَهُ يَحُلُّ بِرَبْوَةٍ ... فَحَلَّ الْمَوَالِي بَعْدَهُ بِمَسِيْلِ
طَوِيْلُ نِجَادِ السَّيْفِ وَهْمٌ كَأَنَّهُ ... تَصُوْلُ إِذَا اسْتَنْجَدْتَهُ بِقَبِيْلِ

* الأبيات من ١ إلى ٦ في الأغاني، ج١٢، ص ٢٧٠ والأبيات ٥ إلى ٧ في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ج٢، ص ٩٨٧، والأبيات، ١، ٢، ٤، ٥، ٦ في الكامل في اللغة، ج٢، ص ٣٢٣، وفي البيت الأول في الكامل جاء «لمصرع هالك» وفي الرابع «لهاترة» وفي الخامس «لتأت» وفي السادس «بنجوة» وداخلت رواية الكامل بين البيتين الثاني والثالث. الأبيات من ٥ إلى ٦ وفي طبقات فحول الشعراء ج٢ ص٧١٥ وفي الطبقات، لتمضي المنايا حيث شئن وفي البيت الخامس.

وقد أضاف محقق طبقات فحول الشعراء في هامش تحقيقه البيت الآتي:

فَتًى كَانَ أَحْيَى مِن فَتَاةٍ حَيِيَّةٍ ... وَأَقْطَعَ مِن ذِي شَفْرَتَيْنِ صَقِيْلِ

وبنجوة في البيت السادس، الأبيات من ٤ إلى ٧ في حماسة أبي تمام، ج١، ص٤٩١، وفيه لتغدوا المنايا، ونجوة. البيت ٦ في معجم الشعرا، ص٣٠١ وفيه بنجوة.

(٢٦)

وقال عقيل بن علفة المري: «من الوافر»

وَكَانَ لَنَا فِزَارَةُ عَمَّ سُوْءٍ ... وَكُنْتُ لَهُ كَشَرِّ بَنِي الأَخِيْنَا

* البيت في النوادر، ص ١١١ وفي اللسان مادة أخا وفي الخزانة، ج٤، ص ٤٧٨.

(٢٧)

قال عقيل بن علفة المري: «من الكامل»

إِنِّي لَيَحْمَدُنِي الْخَلِيْلُ إِذَا اجْتَدَى ... مَالِي وَيَكْرَهُنِي ذَوُو الأَضْغَانِ
وَأَبِيْتُ تَخْلِجُنِي الْهُمُوْمُ كَأَنَّنِي ... دَلْوُ السُّقَاةِ تُمَدُّ بِالأَشْطَانِ

www.mtenback.com

وَأَعِيْشُ بِالْبَلَلِ الْقَلِيْلِ وَقَدْ أَرَى أَنَّ الرُّمُوْسَ مَصَارِعُ الْفِتْيَانِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لإِنْ هَلَكْتُ لَيَذْكُرَنْ قَوْمِي إِذَا عَلَنَ النَّجِيُّ مَكَانِي

* الأبيات في الأمالي ج١، ص ٣٧١، وفي اللسان مادة «رمس».

(٢٨)

قال عقيل بن علفة المري: «من الطويل»

أَرَى النَّاسَ لِلصَّعْلُوْكِ حَرْباً ولا أرى لِذِي نَشَبٍ إلاَّ خَلِيْلاً مُصَافِيَا
أَرَى الْمَالَ يَغْشَى ذَا الْوُصُومِ فَلاَ تُرى وَيُدْعَى مِنَ الأَشْرَافِ مَنْ كَانَ غَانِيَا

* البيتان في أمالي المرتضى، ج١، ص ٣٧١، والبيت الأخير في اللسان مادة «غنا».

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

مسكين الدارمي
ورأيه في الغيرة

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

مسكين الدارمي
ورأيه في الغيرة

لم يكن خطأ اعتبار عصر بني أمية عصر اكتمال فنون الشعر العربي وظهور كناناته واستوائه على سوقه حيث تفرع مذهب القول وتميز الشعراء كما تميزت مذاهبهم الفنيّة وظهر بجلاء فن النقائض واكتمل نماؤه، كما اكتمل شعر الغزل بشقيه الصريح والعذري، وعرف شعراؤه ومريدوه، وفي هذا العصر ظهر المذهب الساسي في الشعر فكان له أنصاره وشعراؤه أيضاً.

وقد كان عصر التفتح على ينابيع الشعر والنهل من موارده وتفجيرها إلى عيون جارية أفاضها شعراء عصر بني أمية على سطح الأرض وفرعوها إلى جداول وأنهار تسقي العواطف الملتهبة المتطلعة إلى شتى فنون الحياة فصارت فنوناً تصور المجد والسياسة وتصور الفرح والغضب. وتدغدغ عواطف الأجواد والولاة والخلفاء، وتحرك مشاعر الحب الكامن في النفوس، وتستنهض العواطف المشغولة باللهو وضروب الجمال، وتصور الحرمان والبؤس والظلم الاجتماعي، وتهجو غضباً وتمدح رضاً وتحثُّ على الجهاد وتدافع عن المذهب الديني والسياسي، فأصبح الشعر باختصار صورة للحياة الثائرة الملتهبة عند بعض الفئات والفرق كما أصبح صورة للحياة الهادئة المنعمة المطمئنة عند فئات أخرى. وكاد يتميز كل شاعر بمذهب خاص يحسنه ويظهر بهذا المذهب براعته ويسير معه في مذهبه عدد من الشعراء فيصبح عندئذ مدرسة لها أتباع ومريدون وجمهور متفرج. فعلى سبيل المثال، مدرسة النقائض نضجت على يدي شاعرين عظيمين وتكّون لها جمهور كبير من المحبين لهذا الفن.

ومدرسة الغزل الصريح والعذري تميزت بشعرائها ومريديها وجمهورها الخاص، قاد الفريق الأول عمر بن أبي ربيعة دون منازع فَعُدَّ رأساً لها وكّون له مذهباً فنياً عرف به دون سواه، وتنازع قيادة الفريق الثاني عدد من الشعراء الكبار أتى في مقدمتهم جميل بن معمر وكثير عزة، وعزي من هذا الفن الشيء الكثير إلى مجنون

www.mtenback.com

ليلى قيس بن الملوح على الرغم مما اكتنف شخصيته من شك. وغيرهم كثير ممن سار على مذهبهم.

وتشكلت الطبيعة حية تنبض فيها الروح مملؤة بالحركة لدى شاعر الطبيعة ذي الرمة، رسم ما في الصحراء من واقع، وجسد خياله حيواناتها ومياهها وجبالها ورمالها، ولّون الطبيعة التي عرفها في تقلبات أحوالها فصّورها مخضرّة ممرعة في الربيع قاسية باردة مخيفة في الشتاء ملتهبة محرقة في الصيف، ثم أحسن تصوير انعكاس هذا المناخ ودوارج الريح ومور العواصف وهطول الغيث وصواعق السحب ووميض البرق على حياة ساكنيها من حيوان وإنسان، وشاركه بعض شعراء هذا العصر فأحسنوا كما أحسن وإن تميز له مذهب عرف به وتفرد بالجودة فيه عمّن سواه ممن طرق هذا الفن. ومثل هذا في تميزه في فنه واحسانه له كان الكميت متميزاً في مذهب آخر بناه على الاحتجاج المذهبي وسخر الشعر لمطلب سياسي فأحسن الدعاية وأجاد وسائل الإقناع وتحول الشعر على لسانه إلى جدل عقلي مفحم قائم على الربط بين حاجة العقل وبواعث العاطفة فكان لمذهبه الشعري تميزٌ عرف به وتبعه فيه آخرون كانوا يتخذونه قدوة ومثالاً يحتذونه، فأصبح بذلك مدرسة قائمة المعالم.

وما قيل عن هؤلاء يقال عن عشرات غيرهم من شعراء المدح وطلاب الجدة ومهتبلي المناسبات وأهل العصبية ورواد الغنيمة.

وعلى الرغم من تميز هذه الفنون واكتمالها في عصر بني أمية[1] بحيث أصبح كمال المذهب الفني معزواً إلى شاعر بعينه أو عدد من الشعراء[2] إلا أن الثابت لدى المهتمين بالدراسات الأدبية أن هذه الفنون لها بدايات وأصول موجودة مطروقة فيما سبق من العصور منذ الجاهلية وأنها معروفة لدى الناس، وأن الذي طرأ عليها إنما هو

---

(١) مثل فن الغزل الصريح الذي ينسب إلى عمر بن أبي ربيعة وبدايته كانت منذ الجاهلية.

(٢) مثل الغزل العذري الذي ينسب كما له إلى عدد من الشعراء وهو موجود من الجاهلية وكذلك فن النقائض الذي تميّز واكتمل على لسان أكثر من شاعر في عصر بني أمية أما أصله فعرف منذ الجاهلية.

www.mtenback.com

تطور وحسب.

وإذا كان للشعراء في عصر بني أمية من فضل فإنَّما هو فضل الرقي بها والوصول بها إلى درجة الكمال الفني، فالنقض في الشعر يعود إلى بدايات الشعر الأولى ويأتي على لسان امرىء القيس وعبيد بن الأبرص قال امرؤ القيس[1].

يَا لَهْفَ هِنْدٍ إذْ خَطِئْنَ كاهِلا ... تاللهِ لا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلا
حتى أبيرَ مَالِكاً وَكَاهِلاَ ... القاتلينَ المَلِكَ الحُلاَحِلا
خَيْرَ مَعَدٍ حسباً ونَائلا ... وخيرَهُمْ قد عَلِمُوا شَمَائِلا

فنقض ذلك عبيد بن الأبرص قائلاً

يَاذَا المُخَوِّفَنَا بِقَتْلِ ... أبِيهِ إذْلالاً وَحَيْنَا
أزْعَمْتَ أنَّكَ قد قَتَلْتَ سَرَاتِنَا كَذِباً وَمَيْنَا
هَلاَّ على حِجْرِ بنِ أمِ ... قطَامِ تَبْكِي لا عَلَيْنَا

ولا يخفى أن النقض المقصود هنا هو نقض المعنى وليس النقض بالاصطلاح الفني الذي تتوفر فيه وحدة الوزن والقافية والموضوع.

وكذلك الغزل بشقيه الصريح والعذري عرف مع بداية الشعر العربي في الجاهلية[2]، وَقُلْ مثل ذلك عن بقية الفنون الشعرية:

لكن الشعر في عهد بني أمية لم يخلُ من جديد حادث متميز بجدته لا نجد له مشابهاً في أصول الشعر الجاهلي ولا في شعر صدر الإسلام. هذا الجديد جاء متمثلاً على لسان الشاعر مسكين الدارمي عندما طالب بنبذ الشطط في الغيرة على المرأة فانفرد برأيه وحمل وحده عبء التصريح بموقفه الرافض لمغالاة بعض العرب في الغيرة، مخالفاً إيَّاهم فيما يعُدونه من كمال المروءة، معلنا أن الغيرة وَهْمٌ كبير في ذهن الرجل الغيور لا يمكن أن يضمن الحماية الكافية للمرأة.

---

(١) ديوان امرىء القيس، ١٧٦، وتاريخ النقائض ٤٨ وفيه بعض الاختلاف في ترتيب الأبيات وأشطرها. وهي صورة بدائية للنقائض قبل كما لها الفني.

(٢) أنظر كتاب الغزل في العصر الجاهلي للدكتور أحمد الحوفي فقد تتبع فيه نشأة الغزل في الجاهلية وذكر عدداً من شعرائه ولا سيما في الباب الذي عقده لمناقشة الآراء حول بدايته ص ١٤٨.

www.mtenback.com

وقد جاءت هذه الظاهرة في شعره خاصة وتميزت عنده لكنها بقيتْ عقيماً في نفسه لم تنتشر عند غيره من الشعراء ولم تنتقل إلى منهج الشعر بعد ذلك.

ودراسة هذه الظاهرة في شعر الدارمي ستقود إلى إطلالة على معنى الغيرة عند العرب ومكانها في التقاليد العربية وفي الشعر العربي، ثم بعد ذلك النظر ملياً في رأي الشاعر فيها وبعد ذلك التعليل الممكن للموقف الذي أظهره مخالفاً فيه من عاصره من الناس ولم يجاره فيه أحد ممن لحق به بعد ذلك.

الغيـــرة :

الغيرة مصدر من قولك غار الرجل على أهله، والمرأة على بعلها تغار غيرة، والغيرة هي الحميّة والأنفة[1]. وأقرب حميّة الرجل أن يغارَ على محارمه وزوجته[2] وأن يفتخرَ بذلك ويظهرَه في الناس وقد اشتطت العرب في الغيرة ومدحوا بها وفخروا بشدتها على المحارم وعُرف منهم الغُيُرُ الذين كانت لغيرتهم قصص أشبه بالخيال ومن هؤلاء عَقِيْلُ بنُ عُلَّفَةُ المُرِّي الذي كان معاصراً لمسكين الدارمي وقد ضرب بغيرته المثل ، وكان أحد نماذج التطرف والمبالغة الممقوتة ولشدة شططه في الغيرة كان يفضل موت البنت على حياتها ويجعل القبر أكرم الأصهار مع أن أصهاره خلفاء بني أمية وسادات قريش لكن القبر يظل مفضلاً عليهم كما يقول:[3]

انِّـــي وانْ سِيْـــقَ لـــي المَهْـــرُ ألْـــفٌ وَعِبْـــدَانٌ وَذَودٌ عَشْرُ
أحَبُ أصْهَـــارِي إلـــيَّ القَبْـــرُ

وإذا كان الإسلام قد حال بين عقيل وما يريد فقد وجد الجوعَ والعُرْيَ سببين معقولين يمكن أن يحولا بين المرأة والرجل في رأيه فإذا أراد سفراً فسئل عمَّن يخلف على أهله وأين غَيْرتُه قال: أخلف معهم حافظين، الجُوْعَ والعُرْيَ، أجيعهن

---

(١) أنظر مادة «غ ي ر» في لسان العرب، والصحاح.

(٢) جاء في الإفصاح في فقه اللغة قوله الغيرة غار الرجل على امرأته يغار غيره ثارت نفسه مبالغة في المحافظة عليها.

(٣) العقد الفريد، ص ١٩١، وأمالي المرتضى، ح١ ص ٢٧٣.

www.mtenback.com

فلا يمرحن وأعريهن فلا يبرحن"[1] وكان لا يرى الرجل يحدث المرأة من أهله إلا أوقع به أشد العقاب[2]. هذا في الإسلام الذي حفظ للإنسان الحق والكرامة أما في الجاهلية فكانت المرأة موضع شك الرجل وموطن ريبته إذا أخذنا ما وصفها به الحارث بن عمرو شاهداً لتعزيز السياق حيث يقول[3]:

كُلُّ أُنْثَى وإنْ بَدَا لَكَ منها أَيةُ الحبِ حُبُّهَا خَيَتعُورُ
إنَّ مَنْ غرَّه النساءُ بوُدٍ بَعْدَ هَذَا لجاهلٌ مَغْرُوْرُ

وقد لا نوافقه في ارسال الحكم وتعميمه على جنس المرأة لا في الجاهلية ولا في الإسلام. إلا أنه من الثابت أن من أمثال العرب الدالة على شدة غيرتهم قولهم كُلُّ شيءْ مَهَةٌ مَا خَلاَ النِّساء وَذِكْرَهُنَّ» أي أن الرجل يحتمل كل شيء حتى يأتي ذكر حرمه فيمتعض حينئذ، فلا يحتمله[4] وقد جرّ الشطط في الغيرة إلى أقبح عادة عرفت عند العرب وهي وأد البنتِ وقد ذكر المفسرون والمؤرخون أنَّ من أسباب وأد البنات عند العرب الغيرة عليهن والخوف أن يسبين فتنتهك حرماتهن أو أنْ يزوَّجْنَ بغير أكفاء[5] وقالوا في سبب ذلك أن المشمرج اليشكري أغار على بني سعد فسبى منهم نساءً واستاق أموالاً وكان في النساء امرأةٌ خالها قيس بن عاصم الذي وصفه الرسول بسيد أهل الوبر، اصطفاها المشمرج لنفسه فخيرها فاختارتْ البقاءَ معه على العودة مع قيس فانصرف قيس ووأد كل بنت ولدت له[6] وقبل قيس بن عاصم ذكر أن المهلهل ابن ربيعة أمر زوجته حين ولدت له بنتاً أن تقتلها، فأمرت خادماً لها أن تغيبها عندها ثم بدا له فأمر بإحسان تربيتها فكبرت حتى تزوجت[7].

وليس غرض هذا البحث التعرض لقضية الوأد عند العرب إنما الغرض تأكيد أن

---

(١) ذيل الأماني، ١٠٦.
(٢) الأغاني، جـ ١٢، ٢٨٣.
(٣) أخبار النساء، ١٠.
(٤) مجمع الأمثال ج٢، ص ١٣٢.
(٥) المرأة في الشعر الجاهلي، ص ٢٩٥.
(٦) الأغاني، ج ١٤، ص ٦٨.
(٧) المرأة في الشعر الجاهلي، ص ٢٩٤.

www.mtenback.com

من أسبابه غيرة العربي وخوفه من العار حتى إنَّ بعض المصادر قد صرحت بأن قيس ابن عاصم المنقري ما كان يئد إلا خشية سوء الأحدوثة والفضيحة في البنات[1].

أمَّا القرآن فقد صرح بسبب واحد للقتل وهو الخوف من الفقر فقال تعالى: (وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ، نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ، وإِيَّاكُمْ)[2] وقال تعالى: (وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وإِيَّاهُمْ)[3].

والولد يشمل الذكر والأنثى والأيتان السابقتان صرحتا بأن السبب هو خوف الفقر، لكن صرحت آيتان في القرآن بقتل الأنثى من الولد خاصة في قوله تعالى (وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت)[4] وقوله: (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب)[5] والإشارة في هاتين الآيتين. إلى الأنثى خاصة دون الذكر والدافع لوأدها خفي ولم يقترن بالفقر وليس ثمة من سبب لقتل الذرية بعد الفقر إلا خوف العار وهذا نابع عن الغيرة ولذا خصت الأنثى به.

وإذا كان القرآن قد نص في بعض الآيات على سبب واحد هو الفقر. فإن الغيرة قد تكون من الأسباب التي لم ينص عليها القرآن لأن قيس بن عاصم المنقري والمهلهل بن ربيعة كانا يئدان مع غناهُما ووفرة مالِهما وكفالتهما للخدم أثناء الأمر بالوأد. كما جاء في قصة المهلهل.

أما المؤرخون فمجمعون على أن العرب خَصَّت البنات بالوأد دون

---

(١) الأغاني، ج١٤، ص ٦٨.

(٢) الأسراء، ٣١.

(٣) الأنعام، ١٥١، ومثل هاتين الآيتين جاء قوله تعالى (وكذلك زين لكثيرين من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم، الآية، سورة الأنعام ١٣٧، وفي تفسيرها جاء قول بعض المفسرين: زينوا لهم قتل أولادهم خشية الإملاق، ووأد البنات خشية العار) انظر مختصر تفسير ابن كثير، ج١ ص ٦٢٢، إذن قتل الولد في القرآن سببه الظاهر هو الفقر سواء بتزين الشركاء أو بغيره.

(٤) التكوير، ٨.

(٥) النحل، ٥٨.

www.mtenback.com

البنين،وكلا الجنسين يحتاجان إلى الطعام[1]. وفي عدم التصريح بالسبب في الآيتين الأخيرتين ما يجعل احتمال القتل من أجل الغيرة قائماً، أما في الآيتين الأوليين فالغرض من الإشارة تقبيح قتل الأولاد خوف الفقر وفي ذلك ضعف اعتماد القاتلين على الله وقد وبّخهم بالعجز عن قوت أولادهم فغيّرهم بذلك بينما تعد الغيرة من مكارم الأخلاق التي لا يذمُّ الانسان بها، والقرآن ساق ذلك في سياق الذَّم ولم يجعل الغيرة من أسباب القتل التي يُعَيَّر بها المشركون.

وهنا يمكن أن يقال: بأن للغيرة معنى عاماً يدخل فيه ما ذكر. أمَّا من يستقرىء الشعر العربي فسيجد أن من دوافع استماتة الأبطال دون الحمى وإبراز صفات البطولة شعور الرجل بالغيرة على النساء عامة. فالغيرة عنده هي الدافع على القتال والتضحية بالنفس حتى لا تمسَّ المحارمُ بمكروه بقول زهير بن مسعود الضبي[2]:

فَخَيْرٌ نَحْنُ عِنْدَ النَّاسِ مِنْكُمْ إذَا الدَّاعِي المُثَوِّبُ قَالَ يَالاَ
ولَمْ تَثِقِ العَوَاتِقُ مِنْ غَيُورٍ بِغَيْرَتِهِ وَخَلَّيْنَ الحِجَالاَ

وحمايةُ المرأةِ والغيرة عليها حديث مكرور عند الشعراء مقرون بالحميّة والشجاعة يقول كثّير[3]:

وَنَحْنُ غَيَارَى دَوْنَ كُلِّ خَرِيْدَةٍ تُكِنّ أَدِيماً وَاضِحاً وَشَوًى عَبْلاً
وَنَحْمِي إذَا اشْتَدَّ الهِيَاجُ نِسَاءَنَا وَلَمْ يَرَ ذُو عَيْنٍ لِنِسْوَتِنَا حِجْلاً

أما عمر بن لجأ التيمي فيربط جبن أعدائه بقلة غيرتهم على نسائهم ويجعل ذلك

---

(١) وقد يقال: إن الرجال هم عماد القبيلة في الجاهلية، وأن وأد الذكور من الأولاد خوف الفقر يضعف مكانتها بين القبائل لذلك كان الوأد للأنثى خاصة التي لا تحتاجها القبيلة للدفاع عنها، لولا أن المفسرين والمؤرخين ذكروا أن عادة بعض العرب ألا تئد البنت حتى تبلغ من العمر ست سنوات أو أكثر، ولو كان الفقر هو السبب الوحيد للوأد لما انتظر أبوها وأنفق عليها هذه المدة ثم قتلها عندما صارت مؤنتها أقل والتعلق بها أقوى، ولا نقول: إن الفقر ليس سبباً في الوأد فقد صرح القرآن بذلك وهناك روايات تدل على الوأد خوف الفقر. إلا أن الغيرة سبب محتمل للوأد لما أوضحنا في متن البحث من تصريح بعض من وأد بأنه يفعل ذلك خوف العار وليس خوف الفقر.

(٢) النوادر في اللغة، ١٨٥.

(٣) ديوان كثير، ٣٨٦.

www.mtenback.com

سبباً للنكاية بهم في حين يبرز حال قومه ويذكر غيرتهم على النِّسَاءِ ليرى البون الشاسع بين الحيين فيقول[1]:

لَقَدْ ذَعَرْنَا قَدِيْماً فِي نِسَائِكُمُ وَلَمْ تُغَارُوا ولم تُستَنْكَرِ الذُّعَرُ

ويصور قومه على خلاف أعدائه فيقول[2]:

إذْ أُغَارَ شُمَيْطٌ نَحْوَ نِسْوَتِنَا غِرْنَا عَلَيْهِنَّ إنَّا مَعْشَرٌ غُيُرُ

ويقول[3]:

فَلَوْ غِرْتُمُ يَوْمَ الحَرَائِرِ لَمْ تَرُحْ مَعَ القَوْمِ أَبْكَارُ النِّسَاءِ وعُوْنُهَا

كما يقول أيضاً[4]:

نُغَارُ عَلَيْهَا غَيْرَةً مُضَرِيَّةً إذَا ما انْتَضَيْنَا المِشْرَفِيَّ المُهَنَّدَا

وإذا ذهبنا نتبع الشعراء في هذا المضمار وجدنا جريراً يذكر ذلك في شعره ويحوم حول موضوع الغيرة على النساء ويحث على الحميّة لهن حتى لا تذل المرأة ولا تهان كرامتها فيقول يمدح الحجاج:[5]

أَمَّنْ يَغَارُ على النسَّاءِ حَفِيْظَةً إذ لا يثقن بِغَيْرَةِ الأَزْوَاجِ

ويقول مفتخراً بقومه:[6]

أَلَسْنَا نَحْنُ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ غَدَاةَ الرَّوْعِ أَجْدَرَ أن نغارا

كما مدح ذو الرمة ولاة بني أمية بالحميّة العربية وسماها غيرة وجعل لها معنى شاملاً حين يقول[7]:

يَغَارُ بِلالٌ غَيْرَةً عَرَبِيَّةً عَلَى العَرَبِيَّاتِ الْمُقِمَاتِ بالمِصْرِ

---

(١) ديوان ذي الرمة ٩٧٩ .

(٢) ديوان جرير، ٣٨١.

(٣) ديوان جرير ، ٤٧٨.

(٤) ديوان عمر بن لجأ التيمي، ١٠٢، ١٠٥، ١٣٢.

(٥) الديوان، ١٠٥.

(٦) الديوان، ١٣٢.

(٧) الديوان، ٢٧.

www.mtenback.com

فلم تعد الغيرة مقصورة على المحارم وأصبحت محمدة يقوم بها حامي الذمار والحافظ للذمم. ولم يخل ديوان شاعر من ذكر لهذه المعاني سواء كان ذلك في سبيل المدح أو الفخر بنفس الشاعر وقومه أوفي سبيل الذم لأعدائه والانتفاص من شهامتهم. كما يقول جرير في هذه الأبيات يهجو الأخطل وبني تغلب ويتهمهم بقلة الغيرة:[1]

كَذَبَ الأُخَيْطِلُ مَا لِنِسْوَةِ تَغْلِبٍ حَامِي الذِّمَارِ وَمَا يَغَارُ حَلِيْلُ

ويقارن بين قومه وقوم الفرزدق ويزعم أنهم يغارون على النساء وأن ذلك يدفعهم إلى ضرب من الصبر في الحرب بينما يزعم أن بني مجاشع تجبن فلا تحمي المرأة في يوم الروع فيقول[2].

وَلَوْ مِنَّا فَتَاتُكُمُ لَغِرْنَا وَلَوْ عَاذَ الزُّبَيْرُ بِنَا وَفَيْنَا

وفي هذا المعنى نجد مسكين الدارمي يشايع شعراء عصره فيجعل غيرته على المحارم دافعاً للاستبسال في الحرب فيقول:[3].

فَغِرْنَا إِنَّ غَيْرَتَنَا كَذَاكُمْ إِذَا بَرَزَ النِّسَاءُ مِنَ الحِجَالِ

كما يقول جرير[4]:

إِنَّا لَنَرْبَعُ بِالخَمِيْسِ نَرَى لَهُ رَهَجاً، وَنَضْرِبُ هَامَةَ الجَبَّارِ
إِذْ لاَ تَغَارُ على النِّساءِ مُجَاشِعٌ يَوْمُ الحِفَاظِ ولاَ يَفُونَ لِجارِ

---

(١) ديوان جرير، ٧٤.
(٢) ديوان جرير، ٢١٧.
(٣) ديوان مسكين الدرامي، ٦٤.
(٤) ديوان جرير ، ٢٤٦

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرتضى بن تنباك

ويصف الأعشي شدة الغيرة عند بعضهم وحرصه ألا يرى أحد زوجته حتى يبلغ حد الوسوسة غير المقبولة فيقول[1]:

وَإِنْ هِيَ نَاءَتْ تُرِيْدُ القِيَامَ ... تَهَادَى كَمَا قَدْ رَأَيْتَ البَهِيْرَا
لَهَا مَلِكٌ كَانَ يَخْشَى القِرَافَ ... إِذَا خَالَطَ الظَّنُّ مِنْهُ الضَّمِيْرَا
إِذَا نَزَلَ الحَيُّ حَلَّ الجَحِيْشَ ... شَقِيًّا غَوِيًّاً مُبِيْناً غَيُوْرَاً
يَقُوْلُ لِعَبْدَيْهِ حَنَّا النَّجَاءَ ... وَغَضًّا مِنْ الطَّرْفِ عَنَّا وَسِيْرَاً

ومثل ذلك عند كثير في قوله[2]:

حليلةُ قَدَّافِ الدِّيَارِ كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا تَدَانَيْنَا مِنْ الجَيْشِ هَارِبُ
إِذَا مَا رَآنِي بَارِزاً حَالَ دُوْنَهَا ... بِمِخْبَطِهِ يَا حُسْنَ مَا هُوَ ضَارِبُ

أما الغيرة في معناها الخاص المرتبط بالعلاقة المحدودة بين الرجل والمرأة فقد صوَّرها العشاق الذين يختلسون العيون ويهتبلون الغرة والغفلة وبكوا منها كما بكى منها الذين يودون ألاَّ توصد الأبوابُ في وجه علائقهم فتحدثوا عن شدة الغيور وجعلوا الغيرة موضوعاً يدور حوله شعرهم عندما أحسُّوا أنها تقطع صلاتهم، وتحول دون رغباتهم وأنها فوق قدرة إحتمالهم، وأصبح الغيور في نظرهم منغصاً لمشاعر الوفاء. وانقسم العشاق لذلك إلى ثلاث فئات فئة تصور خوف المرأة من عين الغيور وحذرها من الوقوع في قبضته وهي في خلوة مع رجل أجنبي على نحو قول كثير عزة[3]:

وَلَسْتُ وإِنْ أُوعِدْتُ فيهَا بِمُنْتَهٍ ... وإِنْ أُوْقِدَتْ نَارٌ فَشَبَّ وَقُودُهَا

كما تصف أن الموت هو العقوبة المقدرة للعاشقين إن وجدا متلبسين بشيء يسيء إلى الشرف والكرامة أو يخدش حرمة الغيور كما جاء في كلام جميل على لسان المرأة عندما تخشى سطوة الغيور[4]:

---

(١) ديوان الأعشى، ١٤٣.
(٢) ديوان كثير، ١٥٥.
(٣) ديوان كثير، ص ١٣٦.
(٤)

www.mtenback.com

فَـــلا يَجِـــدَنَّكَ الأَعْـــدَاءُ عِنْـــدِي فَتَشْكُلَنِـــــي وإيَّـــــاكَ الثَّكُـــــوْلُ

أما الفئة الثانية من الشعراء فلم تبخل علينا بنقل الشعور الذي يثيره العشاق وتثيره المرأة في نفس الغيور، ورد الفعل لديه حين تأخذه والوساوس وتتحرك في نفسه الشكوك فيجد الألم والريبة والشك المظلم في نفسه، فيحاصر المرأة ويجعل عليها حجاباً دون الناس خوف العار كما صور عبيدالله بن قيس الرقيات بقوله[1]:

لَهَـــا بَعْـــلٌ غَيُـــوْرٌ قَـــا عِـــدٌ بِالبَـــابِ يَحْجُبُهَـــا
يَرَانـــــي هَكَـــــذا أَمْشِي فَيُوعِدُهـــــا وَيَضْرِبُهـــــا

ويصف إمرؤ القيس حرص الغيور على المرأة وحجرها في المنزل الآمن حتى لا يصل إليها أحد فيقول[2]:

أَلاَ يَحْـبِسُ الشَّيْـخُ الغَيُـوْرُ بَنَاتَـهُ مَخَافَـةَ جَنْبَـيِّ الشَّمَائِـلِ مُخْتَـالِ

كما صوروا الألم الخفي والبغض الدفين لدى الغيور الذي لا يجد منه متنفساً يعينه على الراحة ويبعث في نفسه الإطمئنان يقول الراعي واصفاً ذلك[3]:

وَظَـلَّ الغَيُـوْرُ آنِفـاً بِبَنَانِـهِ كَمَا عَضَّ بِرْذَونٌ عَلَى الفَأْسِ جَامِحُ
كَئِيبـاً يَـرُدُّ اللَّهْفَتَيْـنِ لأُمِـهِ وَقَـدْ مَسَّهُ مِنَّـا وَمِنْهُـنَّ نَاطِـحُ

وقد تدفع الغيرة صاحبها إلى تجريد عصاه على المرأة وتهديدها بالقتل، فيقع هذا الحال موقع الألم في قلب المحب فيصور شعوره على نحو قول جميل بن معمر[4]:

أَمَضْرُبَـةٌ لَيْلَـى عَلَـى أَنْ أَزُوْرَهَـا وَمُتَّخِـذٌ ذَنْبـاً لَهَـا أَنْ تَرَانِيَـا

أو قوله[5]:

إِذَا جِئْتُهَـا يَومـاً مِـنَ الدهْـرِ زَائِـراً تَعَـرَّضَ مَنْفُـوضُ اليَدَيْـنِ صَدُودُ

---

(١) ديوان ابن قيس الرقيات، ص ١٢٢.
(٢) ديوان امرىء القيس، ص ١٦٣.
(٣) ديوان الراعي النميري، ص ٤٨.
(٤) ديوان جميل بن معمر ، ص ٧٤.
(٥) ديوان جميل بن معمر، ص ١٩.

www.mtenback.com

أمَّا ذو الرمة فيجعل الغيور قتيل الهمّ والكمد عاجزاً عن معرفة ما يراود نفسه، فيموت متألماً مما يعاني في خلجاته من شدة الغيرة في حين أنه يحاول ستر ما يقاسي وطيَّه عن الناظرين فيقول[1]:

بَكَى زَوْجُ مَيٍّ أَنْ أُنِيخَتْ قَلائِصٌ ... إِلَى بَيْتِ مَيٍّ آخِرَ اللَّيلِ طُلَّحُ
فمتْ كَمَداً يا بَعْلَ مَيٍّ فإنَّها ... قُلُوبٌ لِمَيٍّ أُمَّنُ الغَيْبِ نُصَّحُ

وقد يسمع العاشق ما يكره من المرأة التي أحب فلا يغير ذلك من شعوره نحوها شيئاً لأنه يحيل ذلك إلى غيرة الغيور ويجعله مسؤولاً عنه فيقابل ما تظهر من إساءة بالعفو كما يقول كثيِّر[2]:

يُكَلِّفُهَا الغَيْرَانُ شَتْمِي وَمَا بِهَا ... هَوَانِي وَلكِنْ لِلْمَلِيكِ استَذَلَّتِ
هَنِئاً مَرِئيا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ ... لَعَزَّةَ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ

أما الفئة الثالثة من الشعراء فتلك التي انطلقت على سجيتها تصف ما ركب بطبيعة المرأة من صور التعلق بالأحاديث اللينة والدلال الممتنع تظهره عند شعورها بالأمن وبعدها عن الرقيب الغيور فينطلق لسانها بأحاديث حلوة تناغي الرجل وتمد أمامه أملاً كالسراب الضحضاح يبتعد عنه كلما اقترب خطوة منه يجذبه بريقه فيسير وراءه فلا ييأس منه ولا يصل إليه فيسعى في إغرائه إلى معاودة الحديث وشرح أسباب العلاقة، ويصور الحال في انعكاسات الذاكرة كما قال ذو الرمة[3] :

إِذَا الفَاحِشُ الغَيْرَانُ لَمْ يَرْتَقِبْنَهُ ... مَدَدْنَ حِبَالَ المِطْمِعَاتِ المَوَانِعِ
وَلَمَّا تَلاقَيْنَا جَرَتْ مِنْ عُيُونِنَا ... دُمُوعٌ كَفَفْنَا مَاءَهَا بالأَصَابِعِ

وله أيضاً[4]:

إِذَا غَابَ عَنْهُنَّ الغَيُورَانِ تَارَةً ... وَعَنَّا وَأَيَّامُ النُّحوسِ الأَشَائِمِ
أَرَيْنَ الَّذِي اسْتَودَعْنَ سَوْاءَ قَلْبِهِ ... هَوَىً مثل شَكِّ الأَزْأَنِيِّ النَّواجِمِ

---

(١) ديوان ذي الرمة، ١٢٠٩.
(٢) ديوان كثير، ص ٩٥.
(٣) ديوان ذي الرمة، ٧٨٢.
(٤) ديوان ذي الرمة، ٧٥٥.

www.mtenback.com

وللراعي النميري قول لا يبعد عن قولي ذي الرمة السابقين وهو قوله[1]:

فَلَمَّا قَضَيْنَا مِلْ أَحَادِيْثِ سَلَوةً ... وَخِفْنَا عُيُوْنَ الكَاشِحِ المُتفَقِّدِ
دَفَعْنَا الجمَالَ ثُمَّ قُلْنَا لِقَيْنَةٍ ... صَدَوعِ الغِنَاءِ مِنْ قَطِيْنٍ مُوَلَّدِ
لَكِ الوَيْلُ غَنِّيْنَا بِهِنْدٍ قَصِيْدَةً ... وَقُوْلِي لِمَنْ لاَ يَبْتَغِي اللَّهوَ يَبْعُدِ

أما كثير عزة فيكشف وجه الصورة لآخر ويصف المرأة أمام الغيور كاظمة حذرة تنتقي الكلمات وتختارها بعناية ولا ترد بالجواب أو تنطلق بالحديث حتى تعيد السماع وتتأكد من أن المراد واضح لا لبس فيه ولا يحتمل التأويل ولا يوهم بسوء الظن فيقول[2]:

تَرَاهُنَّ إلاَّ أَنْ يَؤُدِيْنَ نَظْرَةً ... بِمُؤْخَرِ عَيْنٍ أَوْ يَقَلِّبْنَ مِعْصَمَا
كَوَاظِمَ لا ينطقن إلا محورةً ... رَجِيْعَةَ قَوْلٍ بَعْدَ أَنْ يُتَفَهَّمَا
يُحَاذِرْنَ مِنِّي غَيْرَةً قَدْ عَلِمْنَهَا ... قَدِيْماً فَمَا يَنْبُسْنَ إلاَّ تَبَسُّمَا

ويقول جرير[3]:

طَلَبْتُ وَرَيعَانُ الشَّبَابِ يَقُوْدُنِي ... وَقَدْ فُتِنَ عَيْنِي أَوْ تَوَارَيْنَ بِالهَجْلِ
فلمَّا لَحِقْنَاهُنَّ أَبْدَيْنَ صَبْوَةً ... وَهُنَّ يُحَاذِرْنَ الغُيُوْرَ من الأَهْلِ

والشاعر فخور بأنه يقلق الغيور ويزعج المتفقد ويأخذه في غرته ويسوؤه ألا يكون مثيراً للغيرة ويغضبه أن يطمئن الغيور إليه ويأنس به لأن ذلك دليل على ذهاب بواعث الاغراء فيه وانطفاء جاذبيته بعامل الزمن وتقدم السن وقد وصف الراعي هذا الحال في شعره فقال[4]:

وَقَدْ رَابَنِي أَنَّ الغُيُوْرَ يَوَدُّنِي ... وَأَنَّ نَدَامَايَ الكُهُوْلُ الجَحَاجِحُ
يُنَاجِيْنَنَا بالطَّرْفِ دُونَ حَدِيْثِنَا ... وَيَقْضِيْنَ حَاجَاتٍ وَهُنَّ مَوَازِحُ

بينما يتذكر ذو الرمة الماضي في عصيان الشباب فيعيد الأسى المرَّ والألم المبرح والتأسف على ذلك فيقول[5]:

---

(١) ديوان الراعي النميري، ٨٣.
(٢) ديوان كثير عزة، ١٣٦.
(٣) ديوان جرير، ٩٤٩.
(٤) ديوان الراعي النميري، ٤٧.
(٥) ديوان ذي الرمة، ٨٧٥.

www.mtenback.com

أَلاَ طَالَمَـا سُؤْتُ الغيـورَ وبَـرَّحَتْ بي الأعينُ النُّجْلُ المراضُ الصحائحُ
وسايرتُ ركبانَ الصِّبَا واستفزني مسراتُ أضْغانِ القلوبِ الطوامحُ

ويقول جرير في المعنى نفسه مطابقاً الغرض المراد من غيرة الغيور[1]:

فَقَدْ جَعَلَ المفْرُوكُ لاَنَامَ لَيْلَهُ يُحِبُّ حَدِيْثِي وَالغُيُورُ المُشَايِحُ

وقد بلغ الشطط في الغيرة حداً بعيداً، في ذلك العصر، وأدرك معاوية رضي الله عنه شطط الناس في زمانه في الغيرة والمبالغة غير المحمودة فيها فقال كلمته المشهورة: ثلاث خصال من السؤدد وذكر منهن عدم الشطط في الغيرة، وما كان ذلك منه إلا محاولة لردع الناس عن الاستمرار في المبالغة فيها[2].

هذه صورة الغيرة في العقل العربي كما صورها خيال الشعراء لكن أمامنا فيما يأتي شاعر من شعراء العصر الأموي له في الغيرة رأي آخر يخالف ما أجمعت العرب عليه، ويرى الغيرة من جانب واقعي تحكمة العلاقات والظروف الاجتماعية السائدة في المجتمع، ويميز في نظرته بين الممكن والمستحيل في هذا العرف العربي الأصيل. على الرغم من أنه لا يخالف الناس من حيث مبدأ الغيرة الأخلاقي بل يرى قيمة الغيرة وأهمية المحافظة على الشرف واحترام العلاقة في ذلك. فيقرُّ الغاية من الغيرة ويخالف الناس في الوسيلة إليها ذلك هو الشاعر مسكين الدارمي. فمن هو مسكين؟ وما رأيه في الغيرة؟

مسكين الدارمي والغيرة:

بالرجوع إلى استقراء كتب التراجم والأدب وشواهد الشعر ومظانه، والأحداث العظمية التي تألق فيها شعره لا تجدها تضن بذكر اسمه ونسبه[3] وشاعريته وقد

---

(١) ديوان جرير، ٢٦٦.

(٢) أنساب الأشراف، ج١، ص ١٨.

(٣) اسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن زيد بن عبدالله بن عدس من بني دارم، ومسكين لقب غلب عليه وعرف به كأغلب الشعراء الذين غلبت ألقابهم على أسمائهم ومنهم ابن عمه الفرزدق، وليس واضحاً سبب نبزة بمسكين، لكن يظهر من شعره عدم تقبله هذا اللقب إلا على مضض وقد رأى أنه لصق به ولا مجال لتجاهله فذكر بعض التعليلات وتحدث عن القبول =

www.mtenback.com

يتراءى للباحث المتسرع أن في هذه الكتب مادة غزيرة وأخباراً كثيرة عنه، ويخيل إليه أن شهرة الشاعر ومشاركته في أحداث عصره تحله محلاً بارزاً عند مؤرخي الأدب ومتتبعي الأحداث ويسلمه تردد ذلك في أغلب المراجع إلى الظن بأن هذه الكتب لن تضن عليه بما يريد عن حياة الشاعر بجوانبها المختلفة، ولكنها في الواقع ضنينة بخيلة البخل كله إن أراد الباحث منها ما يسعف جوانب حياته التي قد تكون وراء بعض الآراء الواردة في شعره فكل ما يجده لا يتجاوز نسبه واسمه وسبب تلقيبه «مسكيناً» ونتفاً تتعلق بأرومته وأبياتا متناثرة من شعره يجدها هنا وهناك كما يجد فيها حديثاً مكروراً عن رثائه لزياد وترشيحه «يزيد» للخلافة وذكر الحكم في شعره هذه هي الموضوعات المكررة التي تناقلتها الكتب والتراجم والأخبار.

فالنقائض أشارت إليه عند استعراض بواعث المعركة الحامية التي اشتد أوارها بين فحلي تميم جرير والفرزدق، كما ذكرت مهاجاته للفرزدق[1]. أما ابن سلام في طبقات فحول الشعراء فقد أهمله ولم يجعل له مكاناً مع الفحول على الرغم من ذكر مهاجاته للفرزدق في معرض حديثه عن الأخير واستعراض أبياته التي هجا الفرزدق بها ولم يطل الحديث عنه[2]. أما الطبري في تاريخه فيذكر حربه للخوارج مع أبي الرواغ، ورثاءه لزيادٍ ومهاجاته للفرزدق وحربه للمختار بن عبيد مع أشراف الكوفة[3]. بينما يشير البلاذري في أنساب الأشراف إلى مسكين الدارمي وقصة قتاله الخوارج مع

المضض بهذا الاسم كقوله:

وسميت مسكيناً وتلك لحاجة ... وإني لمسكين إلى الله راغب

وقوله:

أنا مسكين لمن أنكرني ... ولمن يعرفني جد نطق

ومثله :

ان أدع مسكيناً فإني ابن معشر ... من الناس أحمي عنهم وأذود

وقوله:

لعمرك ما الأسماء إلا علامة ... منار ومن خير المنار ارتفاعها

(١) النقائض، ج٢، ص ٦٢٠.

(٢) طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ٢٠٩.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ١٩٧، ٢٠٦، ٢٩٠، ج٦، ص ٧٠.

www.mtenback.com

جنود بني أمية، ويورد بعض ما نسب إليه من رجز لم يضمه الديوان[1]. كما ترجم له من المتأخرين صاحب خزانة الأدب وذكر شيئاً من شعر [2] وفعل مثل ذلك عدد غير قليل من المؤلفين الذين نقلوا عن المصادر السابقة ومع كل ذلك فلولا ما جمع أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني من إيحاءات متفرقة مبسطة عن جوانب مهمة في استكناه حياة الشاعر، واستقراء المؤثرات في بناء شخصيته لما تجرأ الباحث على الخوض في تعليل ظاهرة الغيرة عنده ولصرف النظر عن هذه الدراسة لقلة ما أوردت تلك الكتب من المعلومات.

قلنا أن الدارمي يشكل ظاهرة خاصة في مجال الغيرة وذلك بخروجه على المألوف وفلسفته لموقف لم نر له مثيلاً عند شعراء عصره ولا نشك أن الشطط في الغيرة بلغ أوجه في ذلك العصر فالشعراء المشهورون المعاصرون له كانوا في مواكبة الاتجاه العام نحو تأصيل الغيرة وعدم التسامح في أمرها، وشعرهم أوضح من أن يخفى على أحد، أما من عداهم من الشعراء فقد تتبع البحث دواوينهم ومجموعات أشعارهم ومنهم على سبيل المثال:

١ ــ سراقة البارقي.
٢ ــ المزرد بن ضرار.
٣ ــ توبة بن الحميِّر.
٤ ــ عبدالله بن الزَّبير.
٥ ــ القتال الكلابي.
٦ ــ يزيد بن مفرغ الحميري وغيرهم من الشعراء الأمويين.

ووجد أن شعر هؤلاء كشعر الفحول خال من ظاهرة التسامح في الغيرة التي انفرد بها مسكين الدارمي مما جعل المقارنة بين شعره وشعر غيره من معاصريه أمراً غير وارد:

فكان لابد من الرجوع إلى شعره خاصة والنظر فيه للتعرف على ميوله الفنية ومن

---

(١) أنساب الأشراف ج١، ص ١٧١.
(٢) خزانة الأدب، ج٣، ص ٦٩.

www.mtenback.com

ثم لنعرف البواعث التي جعلته يخالف غيره في مسألة تتصل بصميم الخلق العربي الأصيل.

شعـــره :

إذا عدنا إلى شعره وجدنا الذي وصل إلينا منه قليلاً، لم يتجاوز خمساً وخمسين قافية، أغلبها قطع كما يوجد فيما نسب إليه من شعر. البيت والبيتان جاءت في ست وأربعين صفحة من الحجم المتوسط، جمعت من كتب اللغة والبلدان والأمثال[1] ومجمل ما حفظ له من شعر كان يتصفَ بالحَكمة التي استأثرت بحظ وافر من حجم الديوان[2] كما يتضمن الأمثال الرصينة إلى جانب ابتعاده في شعره عن الطيش والسفه وميله إلى الواقعية والتروي، وقد أخذ نفسه بأسباب الكمال كما في قوله[3]:

أَعِفُّ لَدَى عُسْرِي وَأُبْدِي تَجَمُّلاً ... وَلا خَيْرَ فِيْمَنْ لاَ يَعِفُّ لَدِى العُسري
وإِنِّي لأَسْتَحْيِي إِذَا كُنْتُ مُعْسِرا ... صَدِيقِي وَإِخْوانِي بِأَنْ يَعْلَمُوا فَقْري

أو قوله[4].

إِذَا لَمْ تَجِدْ بُدًّا مِن الأَمرِ فَأْتِهِ ... رَحِيْبَ الذِّرَاعِ لاَ تَضِيْقَنْ بِهِ صَدْرَا
وَلاَ تَأْمَنِ الخِلاَّنَ إلاَّ أَقَلَّهُمْ ... عَلَيْكَ إِذَا كَانَتْ صَدَاقَتُهُم مَكْرَا

ومما يدل على ما يتمتع به الشاعر من وعي وصدق مع نفسه ومعرفة لأحوال الناس قوله[5]:

اتَّقِ الأَحْمَقَ أَنْ تَصْحَبَهُ ... إِنَّمَا الأَحْمَقُ كَالثَّوْبِ الخَلَقْ
كُلَّمَا رَقَّعْتَ مَنْهُ جَانِباً ... حَرَّكَتْهُ الرِيْحُ وَهْناً فَانْخَرَقْ

---

(١) جمع شعره وحققه وضمه في ديوان عبدالله الجبوري وخليل إبراهيم العطية وقد نشر في بغداد عام ١٣٨٩هـ ــ ١٩٧٠م.

(٢) انظر مقدمة الديوان، ص ١٧.

(٣) الديوان ص ٤١.

(٤) الديوان ص ٤٧

(٥) الديوان، ص ٥٥.

www.mtenback.com

وقوله أيضاً[1]:

لَيْسَتِ الأَحْلاَمُ فِي حَالَ الرِّضَا ... إِنَّمَا الأَحْلاَمُ فِي حَالِ الغَضَبْ

وقوله [2]

وإني امرُؤٌ مِنِّي الحَيَاءُ الذي تَرَى ... أُعِيْشُ بِأَخْلاَقٍ قَلِيْلٍ خِدَاعُهَا

أُوَاخِي رِجَالاً لَسْتُ أُطْلِعُ بَعْضَهُمْ ... عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جِمَاعُهَا

يظلُّونَ شَتَى فِي البِلادِ وسِرُّهُم ... إلى صَخَرةٍ أَعْيَى الرِجَالَ انْصِداعُهَا

لِكُلِّ امْرِىءٍ شِعْبٌ مِنَ القَلْبِ فَارِغٌ ... وَمَوضِعُ نَجْوَى لا يُرَامُ اطِّلاَعُهَا

وقد لا يكون الدارمي وحده متفرداً بكثرة طرح أبيات الحكمة إلا أنَّ حكمته وتأمله قادته إلى النظر في ظاهرة الغيرة ووصل إلى قناعة بعدم جدوى الشطط فيها فرسم بذلك منهجاً جديداً في فن الشعر لمسه بلطف أبو الفرج الأصفهاني دون أن يطيل الوقوف عنده فقال في كتابه الأغاني بسند طويل يرفعه إلى أبي عبيدة جاء فيه قوله: أخبرني أحمد بن عبيدالله بن عمار قال: حدثني محمود بن داؤد، عن أبي عكرمة عامر بن عمران، عن مسعود بن بشر عن أبيه أنه سمعه يقول: أشعر ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي[3]:

أَلا أَيُّهَا الغَائِرُ المُسْتَشِيْـ ... ـطُ فِيمَ تَغَارُ إِذَا لَمْ تُعَرْ

والحقيقة أنها لم تكن هذه القطعة فقط التي حملت هذا المعنى الذي أشار إليه أبو الفرج بل إنَّ في شعره مجموعةً صالحةً تناولتْ الغرض نفسه الذي أعجب أبا عبيدة وهو غرض لم يوجد إلا عنده خاصة فكان علينا أن نقفَ عند هذه الإشارة ونتفحص شعره لعل البحث يقود إلى سبب مقنع دفعه إلى التفرد عن معاصريه مصمماً على إظهار بعض المعاني التي قد تواجه بعدم الاستجابة من الناس[4].

---

(١) الديوان، ص ٥٥.

(٢) الديوان، ص ٢٢.

(٣) الديوان، ٥٢.

(٤) الأغاني، ج٢، ص ١٧٠ كما ألمح جامعا الشعر إلى ذلك في مقدمة الديوان وقالا أثرت عنه بعض الأغراض التي يندر وجودها عند شعراء عصره كما هو الحال في القطعة رقم ٣٦ التي قيل فيها

www.mtenback.com

لقد طرق الشاعر فنون الشعر في عصره إلا الغزل إذ خلا ديوانه منه كما خلا من وصف المرأة والحديث عنها أو إليها ونزّه نفسه عن التقرب إلى كل ما يبعث الشك والريبة وابتعد عن مجالسة النساء ومحادثتهن التي قد تجرّ إلى ما لا يليق بشيمته فصور ذلك الموقف بقوله[1]:

لا آخُـــذُ الصِّبْيَـــانَ الثُّمُهُـــمْ والأَمْـــرُ قَـــدْ يُغْـــرِي بِـــهِ الأَمْـــرُ

أو قوله[2]:

ولا أُرِي صَاحِبِـــي هِجْـــرَانَ زَوْجَتِـــهِ ولاَ أُحَدِّثُهَـــا السَّوْاتِ إنْ خَرَجَـــا

وقوله أيضاً[3]:

وإنـــي سَأَلْقَـــى اللهَ لَـــمْ أَرْمِ حُـــرَّةً وَلَـــمْ تَتَمَـــنَّ يَـــوْمَ سِرٍ فَخِنْتُهَـــا

أما ما سوى ذلك فلم يذكر عن المرأة وعلاقته بها شيئاً، لكن الحديث عنها جاء عندما تحدث عن الغيرة وعن موقفه منها فكان منه ما ألمح إليه البحثُ فيما مضى. حيث أصبح سمةً بارزةً في شعره ولعل الأبيات التالية تدل على ما لديه من رأي، يقول فيه[4]:

مَـــا أَحْسَنَ الغَيْـــرَةَ فِـــي حِيْنِهَـــا وَأَقْبَـــحَ الغِيْـــرَةَ فـــي كُـــلِّ حِيْـــن

مَـــنْ لَـــمْ يَـــزَلْ مُتَّهِمـــاً عِـــرْسَهُ مُنَاصِبـــاً فِيْهَـــا لِوَهْـــمِ الظُّنُـــوْن

يَـــوشِكُ أَنْ يُغْرِيَهَـــا بالـــذي يَخَـــافُ أَوْ يَنْصِبَهَـــا للعُيُـــوْن

حَسْبُكَ مِـــنْ تَحْصِيْنِهَـــا ضَمُّهَـــا مِـــنْكَ إلـــى خُلْـــقٍ كَرِيـــمٍ وَدِيْـــن

لا تَظْهَـــرَنْ مِـــنْكَ عَلَـــى عَـــوْرَةٍ فَيَتْبَـــعُ المَقْـــرُونُ حَبْـــلَ القَرِيْـــن

تعد هذه الأبيات تمهيداً وعرضاً واقعياً لما سوف يعرض الشاعر من رأي صريح

أحسن ما قيل في الغيرة وهي نفسها القطعة التي أشار إليها صاحب الأغاني، أنظر مقدمة الديوان، ص ١٧.

(١) الديوان، ص ٤٤.

(٢) الديوان، ص ٢٨.

(٣) الديوان، ص ٢٧.

(٤) الديوان، ص ٦٧.

www.mtenback.com

في الغيرة، فهو في البداية لا ينكر أن يكون الرجل غيوراً ولكن في الموضع المناسب للغيرة بحيث لا يسرف في الشك ولا يستبد به الوسواس، مخافة أن يكون للتطرف والمبالغة أثار عكسية في سلوك المرأة لكثرة سماعها كلمات التحذير والتهديد والتهجم موحية إليها بعدم الثقة في سلوكها مما تعده خدشاً لكرامتها وانتقاصاً لشخصيتها.

وقد يبعث تحذيره إيّاها زعزعة الثقة في نفسها فتستهوي الميل إلى ما نهيت[1] عنه ويكون الرجل بذلك قد أغراها بما لم يكن من طباعها، أما إذا كانت ثقتها أقوى من شكه النابع من الغيرة فقد يكون موقف الغيور دافعاً للناس الذين يتحدثون عنها ويجعلون الشك من الزوج والغيرة المفرطة نحو زوجته سبيلاً إلى الحديث عنها والتطلع إليها ومراقبة حركاتها وسكناتها فتصبح مجالاً للكلام وحبك القصص. إن الأمثل في رأي الشاعر هو الابتعاد عن الريبة وترك الإفراط في الغيرة وأن يبدأ الرجل الغيور بالغيرة على نفسه هو، فلا يلّوث سلوكه وتصرفاته بما يعرّيه أمام زوجه ويكشف لها عن سوء وضعف في ميوله، فتتأثر بحكم الصلة بما حولها وتنتقل العدوى إليها،وعليه أن يبتعد عن الريبة ويهجر مواطن الشك فيصبح مستقر النفس راضي البال، ولا أخطر ــ في رأي الدارمي ــ على سلوك الزوجة من سلوك الزوج إذا كان يغار عليها ويتبع هناتها ثم لا يمتنع هو عن منكر ولا يقلع عن سلوك قبيح يفضي إلى الإنحراف إنّ ذلك في رأيه جدير بسوق الزوجة إلى مواقع الريبة اقتداء بالقرين. وهذه القطعة التي مرت قد تكون من أوائل شعره في موضوع الغيرة إذ نجد التمهيد المنطقي للفكرة التي يريد الوصول إليها، فهو لم يرفع العصا من أول وهلة في وجه الغيور كما لم يذم الغيرة في حد ذاتها وأثنى عليها في وقتها وبدأ وكأنه يؤطي لأحكام ستكون أكثر صراحة على نحو قوله[2]:

---

(١) للطفيل الغنوي في هذا المعنى قوله:

إن النساء متى ينهين عن خلق فإنه واجب لا بد مفعول

انظر الطفيل، ١٦.

(٢) ديوان مسكين، ٤١، ٥٣.

www.mtenback.com

مناسب
لتطرف
التهديد
انتقاصاً

سيت[1]
أقوى
ن عنها
عنها
س. إن
لرجل
زوجه
تنتقل
لنفس
لزوج
قبيح
قتداء
نجد
لة في
ِطي
سول

لا أيُّهَا الغَائِرُ المُسْتَشِيْـ ـطُ عَلاَمَ تَغَارُ إذَا لَمْ تُعَمَّرْ
مَا خَيْرُ عِرْسٍ إذَا خِفْتَهَا وَمَا خُيْرُ بَيْتٍ إذَا لَمْ يُزَرْ؟
الغَارُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا وَهَلْ يَفْتِنُ الصَّالِحَاتِ النَّظَرْ؟
إنِّي سأخْلِي لَهَا بَيْتَهَا فَتَحْفَظُ فِي نَفْسِهَا أَوْ تَذَرْ
إنِ اللهُ لَمْ يُعْطِهِ وُدَّهَا فَلَنْ يُعْطِيَ الوُدَّ سَوْطٌ مُمَرْ
يَكَادُ يُقَطِّعُ أَضْلاَعَهُ إذَا مَا رَأَى زَائِراً أو نَفَرْ
فَمَنْ ذَا يُرَاعِي لَهُ عِرْسَهُ إذَا ضَرَّهُ والمطِيّ السَّفَرْ

هذا النص يعد تصعيداً للفكرة التي وَطَّأ لها في الأبيات السابقة من خلال ما تأكد له من واقع الحياة التي يعيشها ويشاهد تجاربها فنبا عن مثاليات الشعراء وتصوراتهم، ونحا منحى التأمل وبدأ يرسم الحياة كما هي أو أقرب ما تكون إلى طبيعة الأشياء التي يعيشها الناس ويشاهدونها تمر أمام أنظارهم فضرب المثل من الواقع مصوراً أن غيرة الغيور وإن أبعدت عن المرأة كل سوء في حضرته وإقامته معها، فلن تحميها عند غيبته عنها، وقد تكون أقل غيبة للرجل عن أهله يوماً أو بعض اليوم حين يكون في سائمته أو في صيده أو في ورده وصدوره. إن البيت سيخلو لها لا محالة وإذا لم تجد من نفسها حارساً مانعاً فإنّ إقامة الزوج ورصده لحركاتها لن يدوما ولن يستمرا في كل حال. إنّ الأمر في رأي الشاعر أهون من كل ما تجيش به نفس الغيور وأسهل مما تصور له أوهامه ووساوسه، إن مسكين واقعي في غيرته يريد أن يبني الاحترام والثقة في نفس الزوجين فتكون للزوجة الحرية والخيار ويجعل المحافظة على نفسها من شأنها هي ولها الحق في أن تسلك المسلك الذي يرضي ضميرها في مشهده وفي غيابه عنها، وهو لهذا السبب مصمم على أن يخلي لها بيتها ولا يحول بينها وبين نفسها، فالنفس نفسها والعرض عرضها والكرامة كرامتها فإن شاءت حفظت وإن شاءت ضيعت، لكن الشاعر لم يرد أن تكون هذه قناعة شخصية ولكنه أعلن ذلك أمام الناس وعرضه دالاً على صحة ما يذهب إليه من الأمر فالحياة في رأيه لا تعين الغيور على تحقيق ما يريد.

www.mtenback.com

وإنِّـــي سَأُخْلِـــي لَهَـــا بَيْتَهَـــا فَتَحْفَـــظُ فِـــي نَفْسِهَـــا أَوْ تَـــذَرْ
فَمَـــنْ ذَا يُرَاعَـــي لَـــهُ عِـــرْسَهُ إِذَا ضِرَّهُ وَالمَطِـــيَّ السَّفَـــرْ

وقد توافرت لديه قناعة لم تكن متوافرة ولا ظاهرة عند غيره من معاصريه من الشعراء ولا عند المجتمع الذي عاش فيه ولم يدرك مثل هذه القناعة غير المتأخرين بقرون طويلة، فالشاعر لا يقرّ عزل المرأة وإغلاق الأبواب عليها ولا يرى في ذلك نفعاً ويرى أن تكون الغيرة مغروسة في نفس المرأة وأن تربى عليها حتى تقوى عندها المناعة الذاتية والنفس الأبية الكريمة، كما يعتقد أن خروج المرأة ليس معناه التبرج، إنما هو ضرورة الحياة بالإضافة إلى أن التزاور والاتصال بين الناس نابع من فطرتهم البشرية ولن تقطعه الغيرة:

تَغَـــارُ عَلَـــى النَّـــاسِ أَنْ يَنْظُـــرُوا وَهَـــلْ يَفْتِـــنُ الصَّالِحَـــاتِ النَّظَـــرْ

هذه القناعة التي ظهرت عنده في القرن الأول للهجرة لم تظهر إلا في العصر الحديث عندما هبت رياح الدعوة إلى التغيير واعطاء المرأة الثقة الكافية.

وتصدي الشعراء والكتاب للدفاع عن ذلك، وجاء الشعر ليعيد رأي مسكين بعد ثلاثمائة وألف عام في مثل هذا البيت.

إِذَا لَـــمْ يَحْفَـــظِ الأَدَبُ الغَوَانِـــي فَمَـــا يُغْنِـــي الدِّمَـــقْسُ وَلاَ الحَرِيْـــرُ

وإن كان الاختلاف ظاهر بين ما يدعو إليه مسكين وبين ما يدعو إليه دعاة السفور والتبرج في هذا العصر ولا مجال للمقارنة بين الحالين.

وإذا كنا نعد القطعة الأولى التي وردت في صدر هذا البحث ممثلة للموقف المتأمل الذي يريد الشاعر عرضه نحو هذا العرف والتقليد وفيها حبذ الغيرة في موقف وفي حال كما قبحها وقبح الإقبال عليها في حال آخر وجعل مردَّ ذلك كله ومحوره النفس الإنسانية التي جبلت على التمرد والعصيان على الإكراه والتسلط فإنه حاول أن يجعل للرجل نصيباً معقولاً في هذا المضمار ولم يحمل المرأة كل الأخطاء التي كان المجتمع في عصره يلقيها على كاهلها ويخفف وقعها عن كاهل الرجل.

وقد كانت القصيدة الثانية خطاباً مباشراً صريحاً إلى الغيور المستشيط كما يصفه

www.mtenback.com

موضحاً فيها صورة الخطأ في الاجتهاد وخطل الرأي الذي يذهب إليه ذلك الغيور المستشيط وأعلمه أن غيرته لن تحمي له زوجاً ولن تريح له بالاً وكان في رأيه مستنداً إلى طبيعة الحياة وواقعها الذي يعرفه الناس، فالواقع المعاش لا يسعف الرجل الحريص على حماية المرأة وعزلها عن الناس ووصد الأبواب دونها إن لم يكن لها من ذاتها حارس أمين لا يغيب ولا يسافر.

ولم يترك الشاعر رأيه دون برهان فذّكر الغيور بما لا يستطيع تجاهله، وهو أن لزوم الرجل بيته يحرس عرسه مستحيلاً، فمن له إذن بمن يقوم بمهمة الحراسة إن ضرّه والمطي السفر كما يقول، ولم يدع المخاطب دون جواب وتوجيه فأخبره بوسائل الحماية الحقيقية التي تحفظ له كرامته في غيابه كما تحفظها له في حضرته وتكون هي الملازم الحصين المنيع للمرأة، ذلك هو شعورها بكرامتها وإن خلا لها البيت.

وقد لامس هذا المعنى من بعيد وأومأ إليه إيماءً خفيفاً شاعر جاهلي هو الشنفرى إذ يقول[1]:

إذَا أَصبَحْتُ بَينَ جِبَالِ قَوٍّ ... وبَيضَانِ القُرَى لم تَحْذَرِيْنِي
فَإِمَّا أَنْ تَوَدِيْنَا، فَنَرْعَى ... أَمَانَتَكُم وإِمَّا أن تَنخُونِي
سأُخْلِي لِلضَّعينَةِ مَا أَرَادَتْ ... وَلَسْتُ بِحَارسٍ لَكِ كُلَّ حِيْنِ
إِذَا مَا جِئْتِ مِنْ أَنهَاكِ عَنْه ... فَلَمْ أُنْكِرْ عَلَيْكِ فطَلِّقِيْنِي
فَأَنْتِ البَعلُ يَوْمئِذٍ فقُومِي ... بسوطِكِ لا أَبَالَكِ فاضْرِبِيْنِي

ولكن حال الشنفرى وحياته والظروف المأسوية التي أحاطت به وصعلكته وفتكه تسمح بتفسير نظرته هذه وعقلانيته فهو صعلوك مطارد لا يستقر ليحمي المرأة أو يحافظ عليها، وليس ذلك الحال لمسكين الدارمي الذي ذهب بفكرة التسامح مذهباً بعيداً عن الرأي والخاطرة العابرة، وإذا عدنا إلى القطعة الثالثة نجدها إكمالاً للفكرة التي بدأ بها على الرغم من أنها تحمل المعنى الذي حملته سابقتها الموجهة إلى

---

(١) ديوان الشنفرى ضمن مجموعة الطرائف الأدبية، ٤١.

www.mtenback.com

الغيور المستشيط إلا أن الضمير هذه المرّة يعود على الشاعر نفسه فهو يجعل من ذاته المخاطب والمتحدث ويعبر عن قناعة فيما يمكن أن يأتي أو يدع وإذا كان الدارمي قد وطّن نفسه على مواجهة الناس بحقيقة ما يعتقد صوابه فلا يهمه أن يصرح عن فكرة اعتقد أنها مما تستجيب له طبائع الناس وتتسق مع سلوك الحياة يقول في ذلك[1]:

وإني امرؤٌ لا آلفُ البَيْتَ قَاعِداً ... إلى جَنْبِ عِرْسِي لاَ أُفَارِقُهَا شِبْرَا
وَلاَ مُقْسِمٌ لاَ تَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا ... لأَجْعَلَهُ قَبْلَ المَمَاتِ لَهَا قَبْرَا
إِذَا هِيَ لَمْ تُحْصَنْ أَمَامَ فَتَائِهَا ... فَلَيْسَ يُنَجِّيْهَا بِنَائِي لَهَا قَصْرَا
وَلاَ حَامِلٌ ظَنِّي وَلاَ قَالَ قَائِلٌ ... عَلَى غَيْرَةٍ حَتَّى أُحِيْطَ بِهِ خُبْرَا
وَهَبْنِي إمرَءًا رَاعَيْتُ مَا دُمْتُ شَاهِداً ... فَكَيْفَ إِذَا مَا غِبْتُ عَنْ بَيْتِهَا شَهْرَا

مرت الأبيات التي لم نطلع على ما يماثلها في معناها فيما وقفنا عليه من الشعر العربي، والدارمي في كل مرّة يقلب القول في موضع الغيرة محافظاً على جوهر فكرته حتى أصبح واقعياً وصادقاً في مواجهة الناس فنقل الحديث من أسلوب الوعظ والنصح إلى ما لا يمكن غيره وحقق القناعة الذاتية وتحدث عن جوانب القضية التي يعالج أطرافها واتجه إلى نفسه متحدثاً وهو يريد أن يترك للسامع حرية الأخذ أو الرفض بما يعتقد أنه الصواب دون أن يفرض عليه أمراً يراه من خصوصياته فجعل القناعة الخاصة التي وصل إليها حقاً مشاعاً للناس عامة فأحسن عرض رأيه وجمع بين الصدق والاقناع.

وَهَبْنِي إمرءاً رَاعَيْتُ مَا دُمْتُ شَاهِداً ... فَكَيْفَ إِذَا مَا غِبْتُ عَنْ بَيْتِهَا شَهْرَاً

جنح الشاعر إلى واقعية الحياة وجعلها أقرب إلى قلوب الناس وذكرهم بأنه إذا كان المجتمع يغطي الرجل حق الحماية والردع لسلوك المرأة في كل الأحيان فإنّ هذا الحق سيصبح ضائعاً عندما لا يجد الحامي بداً من الغيبة. وخطأ المعادلة في رأيه أن الأعراف والتقاليد الاجتماعية أعطت الرجل الحق مطلقاً في أن يحجر على المرأة

---

(١) الديوان ، ٤٧.

www.mtenback.com

ويحد من حريتها واتصالها بمن لا يأنس بهم ولا يأمن جانبهم كما أن العادات لم تجعل الرقيب على سلوك المرأة داخلياً كما يجب أن تكون وإنما جعلته خارجاً بعيداً عنها على الرغم من أنها صاحبة الشأن.

وهو لا يخالف الأعراف الاجتماعية في الغاية، ولكنه يخالفها في الوسيلة التي تحقق للمرأة الصون والعفة التي هي جوهر القضية، ورأيه أن تكون المناعة منطلقة من قناعة لدى المرأة بوجوب حفظ الأمانة وليست واقعاً تفرضه عليها عادات وتقاليد قد لا تحترم في كل الأحوال.

ولا نريد أن ننهي البحث في ظاهرة الغيرة عند الشاعر قبل أن نضيف الأبيات التالية إلى رصيد موقفه المتسامح، وقد صرح فيها بما يمكن أن يفعل لو حدث شيء لا يرضاه فقال[1]:

إِذَا مَا خَلِيْلٌ خَانَنِي وَأَتمَنْتُهُ ... فَذَاكَ وَدَاعِيهِ وَذَاكَ وَدَاعُهَا

رَدَدْتُ عَلَيْهِ وُدَّهُ وَتَرَكْتُهَا ... مُطَلَّقَةً لا يُسْتَطَاعُ رِجَاعُهَا

وإِنِّي امْرُؤٌ مِنِّي الحَيَاءُ الذي تَرَى ... أُعِيشُ بِأَخْلاَقٍ قَلِيْلٍ خِدَاعُهَا

وبعد هذا العرض نستطع أن نقول: إن موقف الشاعر من الغيرة متميز ولنا أن نتساءل عمّا وراء هذا الموقف وما الباعث عليه وَلِمَ انفرد به دون سواه من الشعراء؟

ولا بد من التماس الأسباب الكامنة وراء اقتناعه بأهمية إعلان رأيه ومواجهة المجتمع الذي يعيش فيه بهذه القدرة من الشجاعة الأدبية، ولن نطمع في تعليل هذه الظاهرة في شعر مسكين من خلال دراسة للأحوال الاجتماعية السائدة يومذاك فقد تبين أن المجتمع الذي عاش فيه كان يميل إلى المبالغة في الغيرة والتطرف فيها حتى عدَّها الشعراء الذين عاصروه إحدى الخصال الحميدة التي يمدحون بها ويذكرونها مثالاً من أمثلة مكارم الأخلاق التي جبل عليها العربي، كما أننا لن نطمع في العثور على سبب جليّ جعل الشاعر ينحو المنحى الذي لا وجود له عند غيره، وليس أمام الباحث غير الاجتهاد في الأسباب بعد استقراء حياة الشاعر الخاصة وصلاته برجال

---

(١) الديوان ، ٥٢.

www.mtenback.com

عصره من الخلفاء والولاة والمؤثرين الأقوياء في الحياة.

والاحتمال الممكن هو الالتفات إلى الشاعر وإلى حياته العامة وحياته الخاصة فلعل فيهما ما يمكن أن يكون مسوغاً معقولاً لوقوفه الموقف الرافض لما كان سائداً في المجتمع من وسائل تحقق في رأي الغيور حماية المرأة وما يتعلق بذلك من عادات المجتمع وقوانينه وما اصطلح عليه من مواصفات اجتماعية.

صلة الشاعر بمعاوية :

لقد أورد صاحب الأغاني روايات عنه تعد ــ على قلتها ــ أساساً في وضع الأحكام التي سيعالجها البحث عند الحديث عن الجوانب الخفية من حياة الشاعر الخاصة وعن حياته العامة، فهي الزاد الذي يمكن أن تدرس على ضوئها البواعث في شعره. ومن روايات الأغاني قوله بعد أن أورد مهاجاته للفرزدق: أخبرني هاشم ابن محمد الخزاعي قال: حدثني محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي قال حدثني عبدالله بن ياسر قال: أخبرني أيوب بن أبي أيوب السعدي قال قدم مسكين الدارمي على معاوية، فسأله أن يفرض له فأبى عليه، وكان لا يفرض إلا لليمن، فخرج من عنده مسكين وهو يقول[1]:

أَخَاكَ أَخَاكَ إنَّ مَنْ لاَ أَخَا لَهُ ... كَسَاعٍ إلى الهَيْجَا بِغَيْرِ سِلاَحِ

وإنَّ ابْنَ عَمِّ المَرْءِ فَاعْلَمْ جَنَاحُهُ ... وَهَلْ يَنْهَضُ البَازِي بِغَيْرِ جَنَاحِ

وَمَا طَالِبُ الحَاجَاتِ إلاَّ مُغَرَّرٌ ... وَمَا نَالَ شَيْئاً طَالِبٌ كَنَجَاحِ

قال السعدي: فلم يزل معاوية كذلك حتى عزت اليمن وكثرت وضعفت عدنان، فبلغ معاويةَ أنَّ رجلاً من أهل اليمن قال يوماً لهممت ألاَّ أدع بالشام أحداً من مضر بل هممت ألاَّ أحل حبوتي حتى أخرج كل نزاري بالشام، فبلغت معاويةَ، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى «خندف» وقدم على تَفِيْئَةِ ذلك عطارد بن حاجب على معاوية، فقال له: ما فعل الفتى الدارمي الصبيح الوجه الفصيح اللسان يعني مسكيناً فقال صالح يا أمير المؤمنين، فقال: أعلمه أني قد فرضت له في شرف

---

(١) الأغاني، ج٢، ص ١٧٦.

www.mtenback.com

العطاء وهو في بلاده، فإن شاء أن يقيم بها أو عندنا فليفعل، فإنَّ عطاءه سيأتيه وبشره بأني قد فرضت لأربعة آلاف من قومه من خندف[1]. هذه أولى روايات الأغاني أما الثانية فتقول: (أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثني حماد بن اسحاق الموصلي قال: حدثني أبي، عن الهيثم بن عدي، عن عبدالله بن عياش قال: كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً الدارمي ويصله، ويقوم بحوائجه عند أبيه، فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك، وخاف ألا يمالئه عليه الناس لحسن البقية فيهم، وكثرة من يرشح للخلافة، وبلغه في ذلك ذَرو كلام كرهه من سعيد بن العاص، ومروان بن الحكم وعبدالله بن عامر فأمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً، وينشدها معاوية في مجلسه إذا كان حافلاً، وحضره وجوه بني أمية، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه وهو جالس، وابنه يزيد عن يمينه، وبنو أمية من حواليه وأشراف الناس في مجلسه، فمثل بين يديه وأنشأ يقول[2]:

إنْ أُدْعَ مِسْكِيناً فَإنِّي ابْنُ مَعْشَرٍ ... مِنْ النَّاسِ أَحْمِي عَنْهُمُ وَأَذُوْدُ
إلَيكَ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ رَحَلْتُهَا ... تُثِيْرُ القَطَا لَيْلاً وَهُنَّ هُجُوْدُ
أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي مَا تَقُولُ ابْنُ عَامِرٍ ... وَمَرْوَانُ أَمْ مَاذَا يَقُولُ سَعِيْدُ
بَنِي خُلَفَاءِ اللهِ مَهْلاً فإنَّمَا ... يُبَوِّؤُهَا الرَّحْمَنُ حَيْثُ يُرِيْدُ
إذَا المِنْبَرُ الغَرْبِيُ خَلاَّهُ رَبُّهُ ... فَإنَّ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ يَزِيْدُ

إلى آخر القصيدة ثم ذكرت الرواية أن معاوية قال: (ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله، قال: ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة، وذلك الذي أراده يزيد، ليعلم ما عندهم ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته)[3].

أما الرواية الثالثة التي نعرف منها بعض جوانب حياة الشاعر العامة ومشاركاته في أحداث عصره فقد أوردها صاحب أنساب الأشراف في معرض حديثه عن ثورة الخوارج ضد خلافة معاوية تقول الرواية بعد أن ذكرت انتصار والي معاوية على

---

(١) الأغاني، ج٢٠، ص ١٧٦.
(٢) الأغاني، جـ ٢٠، ١٧٦
(٣) الأغاني، جـ ٢٠، ١٧٦.

www.mtenback.com

المستورد الخارجي: (وكان من رجز مسكين بن عامر الدارمي يومئذ[1]):

أَضْرِبُهُمْ وَلَوْ أرى مَسْتَوْرَدَا تَرَكْتُهُ في القَاعِ يَكْبُو مُقْصَدَا

ثم ذكرت الرواية أن المغيرة بن شعبة والي معاوية على الكوفة أوفد مسكيناً وأبا الرواغ إلى معاوية فوصلهما وزاد في إعطائهما[2].

وإذا أضفنا إلى ذلك منزلته عند والي العراق زياد بن سمية وأنه كان يبره ويرعيه الحمى في عام القحط ويصله بالطعام والكساء ثم رثاءه له عند موته وبكاءه عليه في مثل قوله[3]:

رَأَيْتُ زِيَادَةَ الإِسْلاَمِ وَلَّتْ جِهَاراً حِيْنَ وَدَّعَنَا زِيَادُ

وجهره بذلك على الرغم مما يكنه أهل العراق وتميم خاصة وأسرة مسكين لزياد من بغض، وما كاد يجر عليه هذا الموقف من ملاحاة مع ابن عمه وشاعر قومه الفرزدق، كل ذلك يجعلنا على علم بموقف الشاعر من بني حرب وصلته بهم، وتبين لنا أنه صوت قوي يمثل الخليفة ويعبر عن رأيه الخاص بل هو الناطق بلسانه أمام الأمة فيما لا يستطيع الخليفة نفسه أن يواجه به الناس، وليس ذلك وحسب، بل إنَّ رواية الأصفهاني تصور مسكيناً وهو يتدخل بشعره لحسم بعض الخلافات بين بني أمية على نحو ما جهر به على الملأ في مجلس معاوية معلناً رغبة الخليفة في أن يكون ابنه هو الوارث للخلافة وبذلك قطع كل أمل كان يراود أقطاب البيت الأموي. وأعلن ذلك صراحة دونما تورية أو تلميح فصدع بأسماء من كانوا ينافسون يزيد وساءلهم ماذا يريدون؟ ثم ماذا يقولون في خلافته ثم لا يترك لهم الإجابة بل يعلن أن الخلافة إرث سينتقل إليه وعليهم أن ينصرفوا عن رغبتهم في الخلافة والطمع فيها إلى ما أراد الله وأن عليهم أن يطيعوا ويسمعوا:

بَنِي خُلَفَاءِ اللهِ مَهْلاً فَإِنَّمَا يُوَوِّهَا الرَّحْمنُ حَيْثُ يُرِيْدُ

إِذَا المِنْبَرُ الغَرْبِيُّ خَلاَّهُ رَبُّهُ فَإِنَّ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ يَزِيْدُ

(١) أنساب الأشراف، ج١ ص ١٧١.

(٢) أنساب الأشراف، جـ١ ص ١٧١.

(٣) الأغاني، ج٢٠، ص ١٦٨.

www.mtenback.com

فهو هنا لم يعد شاعراً فحسب وإنما هو ناطق رسمي باسم الخليفة وقد عرف بنو أمية مكانته عند معاوية فلم ينله منهم مكروه، لأنه يعبر عن رغبة الخليفة وربما كان ذلك بإيعاز منه مستغلاً شاعرية الدارمي ولم تكن وظيفته في بلاط معاوية تطوعاً ولكنه أصبح موظفاً رسمياً في البلاط ففرض معاوية له في شرف العطا عندما احتاج إلى خدماته ليقوم بنشر ما يريد ويعبر عن سياسته وقد كان قبل الحاجة إليه يجفوه ويجفو قومه كافة وعندما احتاجه لم يكتف بضمه إلى ديوان الشام مع ثمانية آلاف من العدنانيين بل جعله في شرف العطاء. والخليفة يسوس أمة ويرعى مجتمعاً وقد رأى أن التطرف في الغيرة والشطط فيها بلغ حداً مضراً بعلائق الناس وعرّض بعض من لا يستهان بهم من الشعراء إلى مطاردة الولاة وهدر الدم والتغريب من الأرض كما وصف جميل ذلك بقوله[1]:

أَتَانِي عَنْ مَرْوَانَ بِالغَيْبِ أَنَّهُ مُقِيْدٌ دَمِي أَوْ قَاطِعٌ مِنْ لِسَانِيَا
فَفِي العِيْسِ مَنْجاةٌ، وَفِي الأَرْضِ مَذْهَبٌ إِذَا نَحْنُ رَفَّعْنَا لَهُنَّ المَثَانِيَا

وقد لقي الشعراء العذريون وغير العذريين عناء في سبيل حبهم الطاهر العفيف ولم يسلم الخليفة نفسه من ألسنة الناس[2] وشعر الشعراء فأظهر الخليفة تبّرمه وغضبه من الشطط في الغيرة والإفراط فيها، وبدأ يلقي في أحاديثه العامة ما يدل على إتجاهه إلى محاربة هذه الظاهرة فقد روى البلاذري في أنساب الأشراف عن المدائني وغيره أن معاوية قال: ثلاث من السؤود: الصلع واندحاق البطن وترك الإفراط في الغيرة[3] ولم

---

(١) ديوان جميل، ص ٧٣، والأغاني، ج٨، ص ١٢٥.

(٢) تروي الأغاني أن عبدالرحمن بن حسان شبب برملة بنت معاوية وقد ثار لذلك يزيد ولكن معاوية أظهر الكثير من التسامح مع الشاعر ووصله لينصرف إلى المدينة ومنع ابنه من الانتقام وقد طلب من الخليفة قتل الشاعر. ولم تطب نفس يزيد فأمر الأخطل بهجاء الأنصار فهجاهم بقصيدة منها:

ذهبت قريش بالمكارم كلها واللؤم تحت عمائم الأنصار

فثار النعمان بن بشير ولقي الخليفة عناء في تهدئة ثورة أكرم فريق على المسلمين وبلغ به الأمر مبلغه لما علم أن يزيد وراء هجاء الأنصار وأنه قد أجار الشاعر.

الأغاني، ج١٥، ص ٨٥، ح١٦، ص٨.

(٣) أنساب الأشراف، جـ ١ ص ١٨.

www.mtenback.com

يكتف بالكلام بل عمد إلى التطبيق العملي كما نقول اليوم عندما شبب عبدالرحمن ابن حسان بإحدى نسائه في قصة رواها البلاذري عن المدائني أيضاً على هذا النحو (عن أبي عبدالرحمن بن المبارك قال: شبب عبدالرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري، بأخت معاوية، فغضب يزيد فقال لمعاوية: يا أمير المؤمنين اقتل عبدالرحمن بن حسان: قال ولم يا بني؟ قال: إنه شبب بعمتي قال: وما قال فيها؟ قال:

طَالَ لَيْلِي وَبِتُّ كَالْمَحْزُونِ ... وَمَلَلْتُ الثَّوَاءَ فِي جَيْرُونِ

قال وما علينا يا بني من طول ليله وحزنه أبعده الله، قال إنه يقول:

وَلِذَاكَ اغْتَرَبْتُ بِالشَّامِ حَتَّى ... ظَنَّ إِهْلِي مُرَجَّمَاتِ الظُّنُونِ

قال وما علينا من ظن أهله؟ قال إنه يقول:

هِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الغَوَّا ... صِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

قال: صدق يا بني إنها لمن جوهر مكنون، قال: وإنه بقول:

وإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدهَا ... فِي سَنَاءٍ مِنَ المَكَارِمِ دُوْنِ

قال وهي بحمد الله كذلك قال إنه يقول:

ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى القُبَّةِ الخَضْرَاءِ ... نَمْشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

قَالَ لاَ ولاَ كُلَّ هَذَا، ثم ضحك وقال وما قال أيضاً؟ قال: قال:

قُبَّةٍ مِن مَرَاجِلَ شَيَّدُوهَا ... عِنْدَ حَدِّ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ

عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ البَا ... بِ وإِن كُنْتُ خَارِجاً عَنْ يَمِينِي

تَجْعَلُ النَّدَّ والأُلُوَّةَ وَالعُو ... دَ صِلاَءً لَهَا عَلَى الكَانُونِ

وَقِبَابٌ قَدْ أُشْرِجَتْ وَبُيُوتٌ ... نَطَّفُوهَا بِالآسِ وَالزَّرْجُونِ

قال يا بني لا يجب القتل في هذا، والعقوبة دون القتل تغرية فيزيد في قوله ولكنّا نكفه بالتجاوز والصلة، فوصله وصرفه.

إذن فالغيرة لم تعد مشكلة إجتماعية فحسب فقد أصبحت مشكلة سياسية أيضاً والخليفة أصبح يواجه واقعاً إجتماعياً يراه مجانفاً للصواب وضاراً بالأمن الذي يهمه

www.mtenback.com

أن تتمتع الأمة به، ويود لو قلل الناس من الشطط والتطرف فى الغيرة.

ووجد من لسان الدارمي ما ينهض بنقل وجهة نظره وقد عرف ذلك منه في أخطر المواقف وأكثرها حساسية على نحو ما مر من أمر الخلافة وبدعة توريث الملك، ولعل الشاعر في موقفه الذي يعرضه البحث كان مستجيباً إلى موقف الخليفة من الغيرة عندما صدع بشعر اصطبغ بلون متميز من غيره وظهرت فيه روح البعد عن الشطط وقد يكون تأثَّر باتجاه الخليفة إن لم يكن ذلك قد جاء بتوجيه صريح مباشر منه أو ربما تجاوباً خفياً مع رغبته التي أظهرها للناس. فنحن الآن نعرف مسكيناً ونعرف صلته ببلاط معاوية ونعرف مكانته عند الخليفة كما نعرف شجاعته الأدبية فيما عرض من مواقف تصدى لها على الرغم من إجماع الناس على غيرها في الأغلب الأعم، ونعرف من جانب آخر موقف الخليفة من الإفراط في الغيرة ومحاولته درء شطط الناس وجموح عواطفهم فلماذا إذن لا يكون موقف الشاعر في هذا المنحى إستجابة لرغبة الخليفة وتعبيراً رسمياً عن الرفض للتمادي في عادة بلغت حد الضرر الاجتماعي فحاول الخليفة التقليل منها وحذر الناس من الإيغال فيها، ولم يستطع معاوية التصريح برغبته لأن الغيرة في حقيقة الأمر خصلة كريمة وخلق محمود وعرف اجتماعي يعبر عن مروءة، ولن يجازف الخليفة بإصدار أمر صريح يمنع ذلك حتى لا يتعرض موقفه للنقد الاجتماعي[1] مع ما عرف عنه من حذر شديد في مواجهة الناس بما لا يرضون، وَشُهِدَ له بالمجاملة حتى ضرب المثل بشعرة معاوية، والبيعة ليزيد مثلاً أخذت وقتاً ليس يسيراً ومرت سنوات عدة ومشاورات طويلة مع ولاته وخاصته وأهل بيته قبل إعلانها، وتردد عن مواجهة الناس بها على الرغم من عقده العزم عليها وعندما وصل إلى القناعة التامة بتوريث الملك لم يجعل نفسه المصدر الأول الذي يفاجيء الناس بما يعتقد أنهم يرفضونه فاختار مسكيناً للقيام بذلك حتى يكون البادىء المقترح لرغبته التي بيّتها وأحكم الأمر لها.

إن الاحتمال الوارد هنا هو أن الخليفة كان وراء موقف مسكين وهو احتمال

---

(١) ذكر السيوطي في أخبار النساء أن معاوية قد تعرض لنقد الناس عندما نسب إليه قوله السابق: ثلاث من السؤود ونسبوه إلى قلة الغيرة ص ٨٥.

www.mtenback.com

ممكن خاصة بعد أن علمنا الصلة القوية التي نمت بينهما. وهو أحد احتمالين يطرحهما البحث لتفسير خروج مسكين عن الإجماع ونظرته الخاصة إلى الغيرة.

أما الاحتمال الثاني فيدور حول حياة الشاعر الخاصة، ويلتمس ما قد يبعث على ذلك الموقف من منطلق ذاتي بحت وقد أسعفنا الأصفهاني بروايات منها قوله:

أخبرني محمد بن خلف المرزبان قال: حدثنا أبو العيناء، عن الأصمعي قال: خطب مسكين الدارمي فتاة من قومه فكرهته لسواد لونه وقلة ماله، وتزوجت بعده رجلاً من قومه ذا يسار، وليس له مثل نسب مسكين، فمّر بهما ذات يوم، وتلك المرأة جالسة مع زوجها فقال[1]:

أَنَا مِسْكِيْنٌ لَمَنْ يَعْرِفُنِي ... لَوْنِيَ السُّمْرَةُ أَلْوَانُ العَرَبْ

مَن رَأى ظَبْياً عَلَيْهِ لُؤْلُؤٌ ... وَاضِحَ الخَدَّيْنِ مَقْرُوناً بِضَبْ

أَكْسَبَتْهُ الْوَرِقُ البِيْضُ أَباً ... وَلَقَدْ كَانَ وَمَا يُدْعَى لأَبْ

رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِيْنٌ بَيْتُهُ ... وَسَمِيْنُ البَيْتِ مَهْزُولُ النَّسَبْ

أَصْبَحَتْ طَمَّاحَةً مُعْتَلَّةً ... قَرِمَتْ بَلْ هِيَ وَحْمَى لِلصَّخَبْ

أَصْبَحَتْ تُرْزَقُ مِنْ شَحْمِ الذُّرَا ... وَتَخَالُ اللُّؤْمَ دُرّاً يُنْتَهَبْ

لاَ تَلُمْهَا إِنَّهَا مِنْ نِسْوَةٍ ... صَخِبَاتٍ مِلْحُهَا فَوْقَ الرُّكَبْ[2]

كَشَمُوسِ الخَيْلِ يَبْدُ شَغْبُهَا ... كُلَّمَا قِيْلَ لَهَا هَالٍ وَهَبْ

هذه الرواية وهذه القصيدة تصلحان مدخلاً جيداً إلى حياة الشاعر الخاصة التي ربما كانت ذات أبعاد ودلالات، في اتجاهه إلى الرصانة في الشعر، وإلى الموقف المتأمل في الحياة وعلائق الناس وروابطهم وهناك رواية أخرى أوردها الأصفهاني نرى من الملائم أن نرويها قبل أن نخص القصيدة بحديث. تقول هذه الرواية[3] (أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبدالرحمن بن أخي الأصمعي قال:

---

(١) الأغاني، ج٢٠، ١٧٤.

(٢) مثل يضرب لسريع الغضب سيء الخلق كفور المعاشرة، أنظر الميداني، مجمع الأمثال ج٢، ص ٢٦٩.

(٣) الأغاني ج٢، ص ٢٦٩.

www.mtenback.com

حدثني عمي قال: كانت لمسكين الدارمي امرأة من منقر، وكانت فاركاً كثيرة الخصومة والمماظَّة له فاجتازت به يوماً وهو ينشد قوله في نادي قومه:

إنْ أَكُ مِسْكِيناً فَمَا قَصَرَتْ ... قِدْرِي بيُوْتُ الحَيِّ وَالجُذُرُ

فوقفت عليه تسمع حتى إذ بلغ:

نَارِي ونَارُ الجَارِ وَاحِدَةٌ ... وَإِلَيْهِ قَبْلِي تَنْزِلُ القِدْرُ

فقالت له: صدقت والله، يجلس جارك فيطبخ قدره، فتصطلي بناره، ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب، فإذا شبع أطمعك أجل والله إنَّ القدر لتنزلَ إليه قبلك، فأعرض عنها ومرّ في قصيدته، حتى بلغ قوله:

مَا ضَرَّ جَاراً لِي أُجَاوِرُهُ ... أَلاَّ يَكُونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ

فقالت له: أجل، إن كان له ستر هتكته، فوثب إليها يضربها وقومه يضحكون منهما.

لا شك أن هاتين الروايتين تعطيان مجالاً معقولاً لإدارة الحوار حول حياته الخاصة وعلاقته بالمرأة الزوجة، فالرواية الأولى تجعل مسكيناً قليل القَبول لدى النساء وتصور حظه القليل من حبهن وتصف لونه الداكن كما تذكر رغبتهن عنه إلى غيره ممن هو أقل منه مكانة اجتماعية كما تضيف الرواية عاملاً آخر باعد بينه وبين النساء وهو أنه قليل المال والنساء لا يطيبهن بعد الجمال والشباب مثل المال كما قال الفحل[٢].

إِذَا شَابَ رَأْسُ المَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ مِن وُدِّهُنَّ نَصِيْبُ

يُرِدْنَ ثَرَاءَ المَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ ... وَشَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِّيْبُ

وصاحبنا لم يكن ذا مال ولا جمال وقد ألجأه شعوره إلى الدفاع عن لونه والاحتجاج لسمرته بأنها صفة العربي الأصيل: «لوني السمرة ألوان العرب» أما قلة المال فلم تسغ له حُجة في ذلك، ولعل انحيازَه إلى جانب الولاة ومجاراته للخليفة كان محاولة منه لكسب المال والجاه وقد باءت محاولته الأولى مع المرأة بالإخفاق

---

(١) الأغاني، ج٢٠، ص ١٧٨.

www.mtenback.com

وكان لذلك أثر في نظرته إلى الحياة عامة وإلى حياته خاصة وإلى السلوك الإنساني كله بما فيه سلوك المرأة وطباعها.

ولكنه لم يكن عدوانياً في موقفه معها بل كان ليناً تقبل القضية بهدوء وعرض رأيه فيها على الواقع الاجتماعي والنظرة العامة ولم يجعل سبب ذلك عدم الرغبة فيه ولكن الطموح إلى فضل ليس لديه ولا يستطيع تحقيقه لنفسه فحمل ذلك على طلب المال وليس البغض له أو النفور منه.

أَكَسَبَتْهُ الوَرِقُ البِيْضُ أَباً ... وَلَقَدْ كَانَ وَمَا يُدْعَى لأَبْ

أما الرواية الثانية ففيها أثر من حادثة الرواية الأولى التي أخفقت فيها محاولته مع المرأة المخطوبة. فقد صارت هذه المرأة زوجاً وهي مبغضة، سيئة العشرة رجلة تغشى النوادي وتلم بمجالس الحي، وتظهر المقت والبغض له، فيقودها ذلك إلى أن تجد في شعره الذي يعرضه على قومه معاني تقبل الأمرين وتفهم على المعنيين فتقلب ما أراد إلى ضده، فإذا زعم أن ناره ونار الجار واحدة وأنه المتفضل على الجار يشركه في طعامه وشرابه ويكفيه مؤنة الحياة، أصرت هذه الزوجة السليط اللسان على أن العكس هو الصحيح وأن الشاعر يعيش عالة على جاره، وأنه صادق عندما يصف أن قدرهما واحدة ولكنها قدر الجار وليست قدر الشاعر. ولم تبخل عليه بصفات لا تدل إلا على تأصل الكراهية والبغض الدفين فتصفه بصفات مقذعة ثم تجعل الرواية الشاعر يعرض عن ذلك ويمر في إنشاده كأنه لم يسمع، متجاهلاً ما تصفه به من الصفات البذيئة حتى إذا أخذ في واد آخر متحدثاً عن مروءته وخلقه مع جاره:

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي بَرَزَتْ ... حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الخِدْرُ

مَا ضَرَّ جَاراً لِي أُجَاوِرُهُ ... أَلاَّ يَكُوْنَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ

أعادت توجيهها لشعره مرة أخرى مواصلة الحديث جاعلة زوجها هتاكاً لكل ستر فلا يقي الجار منه خلق ولا يحميه ستر.

وشخصية هذه المرأة لا يمكن تجاوزها دون وقفة متأنة يبحث فيها عن أثرها في موقف الشاعر من المرأة وعلاقته الخاصة بها والتعامل معها، ومجمل الانطباع عن

www.mtenback.com

المرأة التي اقترن بها الشاعر أنها امرأة جسور برزة تغشى النادي وتلقى الرجال وتشارك في نقد الشعر وهي مبغضة قالية لزوجها وما دامت هذه شخصية الزوجة التي عاش معها الشاعر في كنّ واحد فما عسى أن تصنع غيرة مثله على مثلها من النساء وقد ظهر عاجزاً عن اتقاء لسانها بله السيطرة عليها والتحكم في سلوكها، إنها أقوى منه في مواجهة الناس وأجرؤ منه بما تريد أن تقول ومثلها لا تعيش مع رجل غيور، ولا تعدل غيرته شيئاً من سلوكها.

لكن هل نقول إن موقفه من الغيرة وإنشاده الشعر الذي يدعو فيه إلى التسامح وعدم الإفراط فيها جاء نتيجة وإنعكاساً لحياته الزوجية وعلاقته الخاصة بالمرأة وهل نزعم أنه تسويغ وهروب من واقع لا يستطيع تغييره لاستخذائه أمام هذه الزوجة ربما كان شيء من ذلك وارداً، وربما كان موقف الخليفة من الغيرة قد شجع الشاعر على رفض الواقع الاجتماعي الذي فرض عليه باقترانه بهذه الزوجة فاجتمع عليه الأمران ونتيجة إلحاحهما واجه المجتمع برأيه المخالف للعادات الإجتماعية.

كل ذلك يمكن أن يكون أمراً معقولاً لتفسير موقفه الشاذ. ولا يبعد أن تلك الظروف جميعها أحاطت به وجعلته يصل إلى ما وصل إليه من رأي لا يحبذ الغلو في الغيرة بعد أن تحقق له أنها غير قمينة بتحقيق الهدف الذي يراد منها.

وأياً كان الأمر فقد وجد في شعر مسكين الدارمي ظاهرة استحقت هذا البحث وكانت موضوعاً جديداً في الأدب العربي تميز على لسانه وفي شعره، ومات معه ولم يتطور بعده.

وأخيراً إن لم يهتد البحث إلى صواب التعليل فحسبة أنه طرح الموضوع للمناقشة.

www.mtenback.com

ابراه
أحم
أحم
الأ
است
الأ
الأ
امر
أمي
بنو
أبو

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأعلام

(أ)

ابراهيم بن هشام المخزومي. ٣٣، ٣١
أحمد أمين
أحمد بن عبدالله بن عمار،١٣
الأخطل، ٦
اسحاق بن يحيى، ٤٧
الأصمعي، ٢٤، ٣٦
الأعشى، ٧
امرؤ القيس، ٢، ٨
أمية بن حرثان بن الأسكر، ٣٠
بنو أمية، ٣، ٥، ٢٠، ٢١، ٣٠،٣٢، ٣٤، ٤٣، ٤٧
أيوب بن أبي أيوب السعدي، ٢٠

(ب)

بشامة بن الغدير، ٣٢، ٤٦
البريق «عياض بن خويلد الخناعي»، ٢٩
البلاذري، ١١، ١٢
بلال، ٦

(ت)

بنو تغلب، ٦
توبة بن الحمير، ١٢
الجاحظ، ٣٥
جثامة بن عقيل، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٢
جذام، ٤١
جرير بن الخطفي، ٦، ٧، ١٠، ١١
الجرباء، ٣٦، ٣٧.

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

أم جعفر، ٤١
جميل بثينة، ١، ٨، ٢٢، ٣٣.

(ح)

أبو حاتم السجستاني، ٣٥.
أبو حاتم الطائي، ٤٢.
الحارث بن ظالم المري، ٤٤، ٤٥.
الحارث بن عمرو، ٤
الحارث بن عوف المري، ٤٤، ٤٥.
الحجاج بن يوسف ٦.
بنو حرب، ٢١.
الحصين بن الحمام المري، ٤٦.
حماد بن اسحاق، ٢٠

(س)

سراقة البارقي، ٨
بنو سعد، ٤
بنو سلامان، ٤١.
سفيان بن أبي حارثة، ٤٦.
سعيد بن أبي العاص، ٢٠، ٢١
شبيب بن البرصاء، ٣٢، ٤٠.
شيبان، ٣٠.
الصمة القشيري، ٢٩

أبو الفرج الأصفهاني، ١١، ١٣، ٣٠، ٣٣، ٤٠، ٤٨.
الفرزدق، ١١، ٢٠، ٢١
القتال الكلابي، ١٢.
قراد بن حنش، ٣٢.
قيس بن عاصم المنقري، ٤، ٥.
قيس عيلان، ٢٠.

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك

عبس، ٤٤، ٤٦.
عثمان بن حيان المري، ٤٠.
عبيد بن الأبرص، ٢.

أبو عبيدة، ١٣، ١٤، ٣١، ٣٢، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠.
عبد الحسين المبارك، ٣٥
عبد الرحمن بن حسان، ٢٢.
أبو عبدالحرمن المبارك، ٣٢، ٣٢.
عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، ٢٥.
ابن عبدربه، ٣٥، ٣٦، ٣٧.
عبدالقادر البغدادي، ٣٠، ٤٠.
عبد الله بن الزبير، ١٢.
عبدالله بن عامر، ٢٠، ٢١.
عبدالله بن عباس، ٢٠
عبيد الله بن محمد الخزاز المدني، ٤٧.
عبيد بن قيس الرقيات، ٨.
عبد السلام هارون، ٣٠، ٣٢، ٣٦، ٤٥.
عبدالعزيز بن محمد الفيصل، ٢٩.
عبد الملك بن مروان، ٣٣، ٤٠.

أبو عكرمة عامر بن عمران، ١٣.
عدنان ٢٠، ٢١
عطارد بن حاجب ٢٠.
عقيل بن علفة، ٣، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩.
عمر بن أبي ربيعة، ١.
عمر بن لجأ التيمي، ٥.
عمر بن الخطاب، ٣٥، ٤٧، ٤٨.
أبو عمر المري، ٣٥.

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك

مجاشع، ٦.
مجنون ليلى، ١.
المخبل السعدي، ٣٠.
المختار بن عبيد، ١١.
مروان بن الحكم، ٢٠، ٢١، ٢٢.
المزرد بن ضرار، ١٢.
المستورد الخارجي، ٢١.
محمد بن بكر التلمساني، ٤١.
محمد التويخي، ٤١.
محمد بن جرار الطبري، ١١، ٣٣.
محمد بن الحسن بن دريد، ٢٥، ٤٢.
محمد بن خلف المرزباني، ٢٤.
محمد بن سلام الحمجي، ١١، ٣٢، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٦، ٤٨، ٤٩.
محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي، ٢٠.
محمد بن عبد الله، ٣٥.
محمد بن العباس اليزيدي، ٣٤.
محمد أبو الفضل ابراهيم، ٣٣.
محمد بن مزيد، ٢٠.
المستورد الخارجي، ٢١.
مسعود بن بشر، ١٣.
مسكين الدارمي، ٧، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣.
محمود بن داود، ١٣.
محمود محمد شاكر، ٣٢، ٣٧.
معاوية بن أبي سفيان، ١٠، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤.
منقر، ٢٥.
مؤرج السدوسي، ٣٣.
المهلهل، ٤، ٥.

(ك)

ابن الكلبي، ٣٦.

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك

كثير عزة، ١، ٥، ٧، ٩، ٣٣.
لكميت، ٢، ٣٣.

(ن)

الشنفري، ١٧.
النعمان بن المنذر، ٤٥.

(هـ)

هرم بن سنان، ٤٥، ٤٦.
هشام بن عبد الملك، ٤١.
هشام بن محمد الخزاعي، ٢٠.
الهيثم بن عدي، ٢٠.

(ي)

يحيى الجيوري، ٣٤.
يحيى بن الحكم، ٣٥، ٤٩.
يزيد بن مفرغ، ١٢.
يزيد بن عبد الملك، ٣٣، ٣٤، ٤٠، ٤٢.
يزيد بن معاوية، ٢٠، ٢٣، ٢٤.
يعقوب بن سلمة، ٤٧.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

مصـــادر البحث

(١) **أخبار النساء**

تأليف: ابن القيم الجوزية.

تحقيق: نزار رضا

نشر دار مكتبة الحياة. ١٩٨٢

(٢) **أشعار الشعراء الستة الجاهلين**

اختيارات من الشعر الجاهلي

تأليف: الأعلم الشنتمري

نشر دار الآفاق الجديدة الطبعة الثالثة، تأريخ ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

(٣) **الأعلام:**

قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين.

تأليف: خير الدين الزركلي، الطبعة السادسة ١٩٨٤م ــ دار العلم للملايين بيروت.

(٤) **الإفصاح في فقه اللغة عبد الفتاح الصعيدي**

نشر دار الفكر الطبعة الثانية، تأريخ ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م.

(٥) **(أمالي) المرتضى:**

غرر الفوائد ودرر القلائد:

تأليف: الشريف المرتضى، على بن الحسن الموسوي العلوي.

www.mtenback.com

تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم.
دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ ـــ ١٩٥٤م.

(٦) **كتاب الأمالي**

تأليف: أبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي.
نشر مكتبة المتنبي ١٣٦٩هـ.

(٧) **الإمتاع والمؤانسة:**

تأليف: أبي حيان التوحيدي.
تحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين.
المكتبة العصرية ـــ بيروت، ١٣٧٣هـ ـــ ١٩٥١م.

(٨) **أنساب الأشراف**

تأليف: البلاذري تحقيق إحسان عباس.

(٩) **البرصان والعرجان والعميان والحولان:**

تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ.
تحقيق: محمد مرسي الخولي ـــ الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ ـــ ١٩٨١م.
مؤسسة الرسالة.

(١٠) **بهجة المجالس وأنس الجالس، وشحذ الذاهن والهاجس:**

تأليف: أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي.
تحقيق: محمد مرسي الخولي.
نشر دار الكتب العلمية ـــ بيروت، ١٩٨١م.

www.mtenback.com

(١١) **تاريخ الأدب العربي:**

تأليف: شوقي ضيف.

الطبعة السابعة، ١٩٦٣م. دار المعارف.

(١٢) **تاريخ الرسل والملوك:**

تأليف: محمد بن جرير الطبري.

تحقيق: محمد أبي الفضل ابراهيم.

دار المعارف، ١٩٦٦م.

(١٣) **تأريخ النقائض في الشعر العربي**

تأليف: أحمد الشايب

نشر مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية، تأريخ ١٩٥٤م.

(١٤) **تهذيب اللغة وصحاح العربية**

تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري.

تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ ــ ١٩٦٥م.

(١٥) **الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة:**

تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني الشهير بالبري.

تحقيق: محمد التونجي.

منشورات دار الرفاعي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ ــ ١٩٨٣م.

www.mtenback.com

(١٦) **الحماسة:**

تأليف: أبي تمام حبيب بن أوس الطائي.

تحقيق: عبد الله عبد الرحيم عسيلان.

نشر جامعة الإمام ـــ ١٤٠١هـ ـــ ١٩٨١م.

(١٧) **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:**

تأليف: عبد القادر بن عمر البغدادي.

تحقيق: عبد السلام هارون.

الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ـــ ١٩٨١م.

(١٨) **ديوان ابي الأسود الدؤلي**

تحقيق: محمد حسن آل ياسين

منشورات مكتبة النهضة بغداد، تاريخ ١٣٨٤هـ ـــ ١٩٦٤م.

(١٩) **ديوان امرىء القيس**

جمع: حسن السندوبي

المكتبة التجارية الطبعة الخامسة بدون تاريخ.

(٢٠) **ديوان تميم بن أبي مقبل**

تحقيق: عزة حسن، دمشق ١٣٨١هـ ١٩٦٢م.

(٢١) **ديوان توبة بن الحميّر الخفاجي**

تحقيق: خليل ابراهيم العطية مطبعة الإرشاد بغداد، ١٣٨٧هـ ـــ ١٩٦٨م.

(٢٢) **ديوان جميل بثينة**

تحقيق: بطرس البستاني، دار صادر، تأريخ ١٩٥٣م.

www.mtenback.com

(٢٣) **ديوان ذي الرّمة**

شرح أبي نصر ورواية ثعلب، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح مطبوعات مجمع اللغة العربية تأريخ ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م.

(٢٤) **ديوان الراعي النميري**

جمع وتحقيق راينهرت فايبرت، نشر دار النشر فرانتس، بيروت، تأريخ ١٤٠١هـ ــ ١٩٨٠م.

(٢٥) **ديوان سراقة البارقي**

حققه وشرحه حسين نصار، لجنة التأليف والترجمة والنشر، تاريخ ١٣٦٦هـ ــ ١٩٤٧م.

(٢٦) **ديوان سحيم عبد بني الحسحاس**

تحقيق: الأستاذ عبدالعزيز الميمني، نشر الدار القومية للطباعة، تأريخ ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٥م.

(٢٧) **ديوان الصِّمَّة بن عبدالله القشيري:**

جمع وتحقيق: عبدالعزيز محمد الفيصل

نشر النادي الأدبي بالرياض، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.

(٢٨) **ديوان الطفيل الغنوي**

تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد، نشر دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، تاريخ ١٩٦٨م.

(٢٩) **ديوان شعر عبدالله بن الزبير**

جمع وتحقيق يحيى الجبوري، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م.

www.mtenback.com

(٣٠) **ديوان عبدالله بن قيس الرقيات**

تحقيق: محمد يوسف نجم نشر صادر، تأريخ ١٣٧٨هـ ـ ١٩٧٤م.

(٣١) **ديوان عبيدالله بن الحر: حياته وشعره**

تحقيق وجمع جورج قنازع بحث في مجلة الجامعة العبرية في القدس، تأريخ ١٩٨٢م.

(٣٢) **ديوان عمر بن لجا التيمي**

جمع وتحقيق يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت الطبعة الثانية، تأريخ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٣٣) **ديوان القتال الكلابي**

تحقيق: إحساب عباس دار الثقافة بيروت ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

(٣٤) **ديوان كثير عزة**

جمع وشرح إحسان عباس، نشر دار الثقافة تأريخ ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

(٣٥) **ديوان المزرد بن ضرار**

تحقيق خليل ابراهيم العطية، مطبعة أسد: بغداد تاريخ ١٩٦٢م.

(٣٦) **ديوان مسكين الدارمي**

جمع وتحقيق عبدالله الجبوري، وأخر دار البصري، تأريخ ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م.

(٣٧) **ديوان يزيد بن الطثرية**

تحقيق: ناصر سعد الرشيد، نشر دار مكة، تأريخ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

www.mtenback.com

(٣٨) **ديوان يزيد بن مفرغ الحميري**

تحقيق: عبدالقدوس أبوصالح.

(٣٩) **سمط اللآلي في شرح آمالي القالي:**

تأليف: الوزير عبيد البكري الأُوَنْبِي

تحقيق: عبدالعزيز الميمني.

مذيلا بذيل شرح الآمالي لأبي علي القالي، لجنة التأليف والترجمة في ١٣٥٤هـ ــ ١٩٣٦م.

(٤٠) **شرح ديوان الحماسة:**

تأليف: أبي علي أحمد بن الحسن المرزوقي.

تحقيق: أحمد أمين وآخر.

الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م.

لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(٤١) **الشعر والشعراء:**

تأليف: أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة.

تحقيق: أحمد محمد شاكر.

الطبعة الثالثة، ١٣٧٧هـ ــ ١٩٦٨م.

(٤٢) **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه:**

تأليف: يحيى الجبوري.

الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م.

مكتبة النهضة بغداد.

(٤٣) **طبائع النساء**

تأليف: أحمد بن محمد بن عبدربه، تحقيق محمد ابراهيم سليم، نشر مكتبة القرآن تاريخ ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.

www.mtenback.com

(٤٤) **طبقات فحول الشعراء:**

تأليف: محمد بن سلام الجمحي.

تحقيق: محمود محمد شاكر.

١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م.

(٤٥) **طبقات النحويين واللغويين:**

تأليف: الزبيدي.

تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم.

تاريخ ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٤م.

(٤٦) **عيون الأخبار:**

تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري.

نشر دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

(٤٧) **العقد الفريد:**

تأليف: ابن عبدربه الأندلسي.

تحقيق: أحمد أمين وآخرين.

الطبعة الثالثة، ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٥م.

(٤٨) **العققة والبررة (نوادر المخطوطات):**

تأليف: أبي عبيدة معمر بن المثنى.

تحقيق: عبد السلام هارون.

الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ ــ ١٩٥٤م.

(٤٩) **الغزل في العصر الجاهلي**

تأليف: أحمد محمد الحوفي، نشر دار نهضة مصر، الطبعة الثالثة، تأريخ ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٣م.

www.mtenback.com

(٥٠) **القصائد السبع الطوال الجاهليات:**

تأليف: أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري.

تحقيق: عبد السلام هارون.

الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ ـــ ١٩٨٠م.

نشر دار المعارف.

(٥١) **كتاب الحيوان:**

تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.

تحقيق: عبد السلام هارون.

الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ ـــ ١٩٦٨م.

(٥٢) **كتاب الأغاني:**

تأليف: أبي الفرج الأصفهاني.

الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ ـــ ١٩٧٨م.

دار الثقافة، بيروت.

(٥٣) **لسان العرب :**

تأليف: ابن منظور.

إعداد وتصنيف يوسف خياط.

دار لسان العرب، بيروت ـــ بدون تاريخ.

(٥٤) **مجمع الأمثال:**

تأليف: أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الميداني.

تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، بدون تاريخ.

(٥٥) **المرأة في الشعر الجاهلي**

تأليف: محمد الحوفي، نشر دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، تأريخ ١٣٨٣هـ ـــ ١٩٦٣م.

www.mtenback.com

(٥٦) **المزهر في علوم اللغة**

تأليف: جلال الدين السيوطي، نشر دار إحياء الكتب العربية، بدون تأريخ.

(٥٧) **معاني أبيات الحماسة:**

تأليف: أبي عبد الله الحسين بن علي النمري.

تحقيق: عبد الله عبد الرحيم عسيلان.

الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

(٥٨) **معجم الشعراء**

تأليف: أبي عبيد الله محمد بن المرزباني، وفي ذيله المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم.

تأليف: أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي.

تحقيق: ف، كرنكو، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م. دار الكتب العلمية بيروت.

(٥٩) **معجم ما استعجم من أسماء البلاد:**

تأليف: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي.

تحقيق: مصطفى السقا.

الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

عالم الكتب ــ بيروت.

(٦٠) **المغانم المطابة في معالم طابة:**

تأليف: نجم الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي.

تحقيق: حمد الجاسر.

الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م.

منشورات دار اليمامة.

www.mtenback.com

(٦١) **المفضليات:**

تأليف: المفضل بن محمد بن يعلي الضبي.

تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون

الطبعة السابعة، ١٣٦١هـ ـــ ١٩٤٢م.

(٦٢) **النقائض، نقائض جرير والفرزدق**

تأليف: أبي عبيدة، تحقيق بيغن، نشر دار الكتاب العربي، تأريخ ١٩٠٥م.

(٦٣) **النوادر في اللغة:**

تأليف: أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري.

تحقيق: محمد عبد القادر أحمد.

الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ ـــ ١٩٨١م.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهـــــرس

الغيــور والصبــور

الموضـــوع	رقم الصفحة
المقدمـــة	٥
عقيـل بن علـفـة	٧
نســب عقيــل	١٢
مـلامــح شخصيتـه	١٤
غـيــرتـــه	١٩
علاقتـه بالنـــاس	٢٣
شـــاعـريـتـه	٢٨
مجمــوع شـــعـــره	٣١
مسكيـن الـــدارمي	٤٣
الـغـيـــرة	٤٦
شـعـــره فيـهـا	٥٩
صلتـه بمعـاويـــة	٦٨
فهـرس الأعـــلام	٨١
مصـادر الكتـاب	٨٧

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com
www.mtenback.com

كتب للمؤلف

الفصحى ونظرية الفكر العامي	الطبعة الرابعة
الجوار عند العرب	« الأولى
رسائل إلى الوطن	« «
الضيافة وآدابها فى الشعر العربي القديم	« «

موقع الدكتور عبد الرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

مطابع العرزدق التجارية - الرياض
تلفون: ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣

www.mtenback.com

ورعاية الذمم، وظهر ذلك واضحًا في مورثهم الأدبي وما وصل إلينا من شعرهم الذي عكس صورة واقعهم الاجتماعي وما كانت عليه حالهم.

- وأمام القارئ في هذا البحث صورتان متناقضتان للموقف من الغيرة رسمهما شاعران من شعراء العربية في عصرها الأول. أحدهما:
- **عقيل بن عُلَّفَة المري**، الذي بلغ شططه في الغيرة على النساء حداً وصل به إلى أن يصبح موضع تندر للناس.
- أما الثاني: فهو **مسكين الدارمي**، الذي أظهر تسامحًا غير مألوف في تفسير الغيرة وذهب برأيه إلى تحكيم العقل فيها وفي دوافعها، رافضًا الشطط والمبالغة معللاً وجه الحكمة في ذلك الموقف الذي يبدو للوهلة الأولى أنه خروج عن العرف الذي آثرته العرب، وتمرد على نظام اجتماعي استقر عليه فكرها، وعدول عن الإجماع إلى ما يخدش الأنفة المتأصلة في وجدانها وقد صحب الباحث كلاً منهما على انفراد فدرس شعره وعرف فلسفته في اختيار المذهب الذي فَضَّلَ السير عليه.

AL-OBEIKAN
01010291
SR- 10.00

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٨٨٣

enback.com